

المثال القومي



حققتنا اليومية التي تطل وتطالع بوجه من القلق الخفيف ، وتختلف باتواب من الحيرة البسالة ، ترجع في واقيتها الى :

تختلف الزعماء كيانياً وثقافياً وانسجماً . مع فزعة العصر ، فإن العصر الحاضر - كسكل العصور - له طابع خاص وروحية خاصة يختلف بها عن العصور الاخرى . وبازم المعاصر من عصر آخر ، ان تألي له ان يتعرف الى الطابع المصري الداخل في حدود الشكليات ، فانه لا يحس ابدأ بروحيته المسيرة التي هي هبة الوقت ، فيظل لذلك بعيداً عما يعيش في المجتمع من تيارات تحدد خطه الاصلاح وتسوي وجهتها .

وطبقتك - ايها الشعب - هي الطبقة الشاعرة التي تستجيب بالاماني والآمال الجسام ، وهي الطبقة المتطلعة التي ترنو دائماً الى فوق وتنظر بنهم الى الافق تبحث عن . فقد لك فيه ، ونحس بالآملك وآمالك ، وتتحرك لك وتحمل رسالتك المقدسة لتؤديها بامانة واخلاص . . . ولجل ان تكون - ايها الشعب - اشد اقتناعاً ، سنحتل لك طبقتك على ضوء علم النفس والتواتر لتكون اكثر وعياً فلا يضلونك ، واكثر وثوقاً فلا يضيغ اعتقادك بنفسك .

اهم نقاد الاجتماع القومي يدرس المزاج العقلي والروحي درساً مقارناً بين الامة ، فوجدوا انه دعامة التطور الاجتماعي الحق والنشوء المقدر الموزون . ولذلك انهم لم يهتموا بمشور في طبقات كل امة ليجدوا في اية طبقة يكون اكثر وفوراً ، فكان في الطبقة المتوسطة ، لانها اقل عرضة للدخيل واكثر مرونة في الخصائص . . . فحصر هؤلاء النقاد نظرهم في الطبقة المتوسطة ، وتكون لديهم ، امسره بالمثل الوسط ، الذي جعلوه عنوان الامة المتكونة الخافضة بكثافة الاستمدادات والقبليات . ان عمل « ويشيلير » الاول كان في تنسية هذا المثال للفرنسيين ، وان عمل « بسمرك » البارز ليس في ايجاد الوحدة السياسية للامان ، بل بالكشف عن هذا المثال القومي ، وهكذا الحال في كل امة نهضت ونهضت ابدأ .

ومن هذا فهم ، ان التقسيم الثلاثي لطبقات الامة قائم على اساس خاطي ، وهو القوة ، والاساس الصحيح له هو الوراثة التاريخية « اي الحنين العميق الى الارض » ، ولو كانت الفواصل العرقية هي الثروة لما كان الوطن وطنياً بلعنى المفهوم من هذا اللفظ ، الذي يضم وحدة الافكار والمشاعر والرغبات . الى ذلك . بل يعود الوطن شركة تجارية مساهمة ، وما الكو اكثرية الاسهم يؤلفون الطبقة العليا وهكذا من دونهم . ان القوة شي . والوطنية شي . آخر ، والتفاوت الحق بالوراثة التاريخية المتصلة ، فهي التي تذكى الشعور القومي وترفع الحس الوطني . . . فالكثير من اصحاب الثورات هم من الطبقة الدنيا في عرفنا القومي ، والطبقة الدنيا في هذا التقسيم تجمع عناصر ليست خليقة الا بان تماق فقط ، لانها تفقد الوجدان القومي الذي هو هبة التاريخ المتصل .

بهذا تفهم - ايها الشعب - انك خليك بان تفكر ، وخليق بان تفقد ، وخليق بان تقول ، ثم لك الكلمة الاخيرة دائماً . . . بهذا تفهم ان زعماءك والذين ترشحهم لعمال كبيرة ، يجب ان يستوي فيهم المزاج القومي الصحيح ، اما الآخرون فزيفون ، مزيفون بشكل ما في هذه الكلمة من معنى ، لان نفوسهم خلا من الجبرية القومية التي يسير المنتخب تحتها الى هدفك الاسمى بدون شعور ، ثم يجد فطرته لا تساعده على ان يعمل الا كما تريد ويصلح لك ، فليس في ذوي المزاج القومي الخالص ، متلاعب او عايب او خائن .

عبد الله العدوي

العلمانية سبيلها الى قلوب الذين راعهم - ما يشر به المبشرون من ابنا الجيل الجديد من المستشرقين الذين يهدفون بحركة الاستسراق الى اغراض ليست طيبة خاصة - حينما يقرأون هذا الكتاب الذي ظهر منذ عامين في امريكا فنيه لا تزال تظهر بتلك الروح العلمية التي عاينها كانت تسود الشطر الاكبر من حركة الاستسراق في النصف الثاني من القرن الماضي واثاث هذا القرن - كيف لا، والذين سامهوا في كتابته هم نفر من البقية الصالحة من المستشرقين الاوربيين الذين هاجروا الى امريكا - شأنهم شأن كثير من اهل الفن والعلم والفلسفة الذين ضاقت بهم الحيلة في اوربا المضطربة سياسياً في السنوات الاخيرة - فتابعوا فيها تلك التقاليد العلمية الجلية التي جعلتها نحن العرب ننظر اليهم بعين الاكبار .

ويتاز هذا الكتاب بعدة ميزات اولها انه يقدم صورة شاملة عن تراث العرب في مختلف اتجاهاته ومواقفه . ففي الفصل الاول تحدث الاستاذ فيليب حتي عن « امريكا وتراث العرب » وفي الثاني عرض المستشرق الابطالي المشهور ليفي دلافيدا ل« تاريخ » بلاد العرب قبل الاسلام » ، وفي الثالث تناول جولين اويرمن بالبحث « اصول

الاسلام » ، وفي الرابع درس جوستاف فون جرونيوم « غو الشعر العربي وتركيبه » يوصف الشعر خير ممثل صحيح للروح العربية ، ثم قدم لنا المشرف على اخراج الكتاب ، الاستاذ نبيه امين فارس صورة اجمالية عن « الغزالي » يوصفه المثل والنموذج الاعلى للانسان المسلم ، اعني الانسان المألوم بطابع الاسلام ، وفي الفصل السادس عرض جون لامونت على الصراع الذي قام بين الشرق والغرب ابان الحروب العروفة بالصليبية متمثلاً في الاتجاhein العسكريين « الحملة الصليبية والجهاد » للمكركين للروح الحربية عند المسيحية والاسلام ، وكان من نتائج هذا الصراع ان بدأ التقام بين العرب والشرق فقام الرحالة من اوربا يذرعون انحاء

The Arab Heritage, edited by Nabih Amin (١١)
Paris. Princeton University Press at Princeton
New Jersey, 1944.

الشرق وانه لابد لنا ان نعرف ما عسى ان يقوله هؤلاء . لهذا جاء هنري سنج فرض لنا صورة « بيت المقدس والقاهرة في القرن الرابع عشر من خلال بيوت غربية » ، ولا شك ان اكبر اثر للعرب في اوربا كان من ناحية العلم الرياضي والطبيعي ، كما ان هذا الميدان من اخصب للمبادئ التي ولجها العرب ، فكان لا مناص من تتبع « تطور التفكير العلمي عند العرب » ، وهذا ما فعله ادورد جرجي ، واخيراً اتى رتشارد اتنجهوزن ففتح الكتاب بفضل تلسم عن « خصائص الفن الاسلامي » .

ويتاز ثانياً بأنه قد شارك فيه واشرف عليه عرب ، مما يؤخذ باننا قد انتقلنا من مرحلة العول على المستشرقين في الكشف عن مناهج تراثنا الى مرحلة المساهمة الايجابية في هذا الكشف ، بعد ان كنا كلوا عليهم في كل شيء ، وحتى المهزود انفسهم قد سبقونا في هذا الباب ، مع اننا نحن اصحابه ا وعلى الرغم من ان نصيب الكتاب العرب في هذا الكتاب ضئيل اذا قيس الى نصيب الغربيين ، فاننا مع هذا نسجل هذه القاهرة بشيء غير قليل من الزهو والاعتداد ، آمين ان يكون هذا القطر اول القيث وعماء قليل سينهم .

وان السر . ليفتح هذا الكتاب في فصله الاول فيسره ان يرى الدراسات العربية الاسلامية تحتل شيئاً فشيئاً مكانتها الحقيقية في امريكا . فبعد ان كانت الدراسات الشرقية مقصورة على المصريات والاشوريات والهنديات ، والدراسات السامية كانت كلها تتصل بلغات « الكتاب المقدس » ، اي العبرية والسريانية ، الى حد ان احد الطلاب في جامعة هارفرد قدم رسالة من موضوع يتصل بالعرب حوالي سنة ١٨٨٠ فلم يجدوا لمناقشتها في امريكا غير استاذ للعربية وحيد وهو سائوري ، من جامعة ييل ، ومع هذا فقد كان اختصاه السنسكريتية ! وحتى كان المتحدثون عن حالة الدراسات الشرقية الى ما قبل هذه الحرب لا يكادون يشيرون ادنى اشارة الى الدراسات المتصلة بالعرب والاسلام . غير ان هذا الاموال الشديد ما لبث ان اخلى السيل امام التقدم . ففي سنة ١٩٣٥ انشأت جامعة « متجن كرسيا » للفن الاسلامي ، كان الاول من نوعه في امريكا وفي السنة



التالية منع كرسى اللغة العربية في هر فرد مبلغاً قدره ٢١٠ الاف دولار ، ثم تطورت الحال الى حد ان كرسي اللغات السامية في جامعات برستون وكولمبيا وبنسلفانيا قد شغلها مستشرقون مختصون في الدراسات العربية الاسلامية ، وفي اجتماع الجمعية الشرقية الايركية في نيويورك سنة ١٩٤٠ خصصت جلسة للباحث الاسلامي والشعور بالحاجة الى تشجيع الدراسات العربية والاسلامية قد عبرت عنه من قبل اللجنة التي التفت في سنة ١٩٣٧ من مجلس الجتماعات العلمية باميركا فاعلنت ان هذه الدراسات هي الاولى من غيرها بالعناية والتشجيع في التعليم العالي . وليس من شك في ان الاحوال السياسية الناشئة من هذه الحرب تستلح على زيادة العناية اكثر واكثر ، منذ ان اصبحت اميركا كدني عناية خاصة بمسائل الشرق العربي ، والسياسة كما نعلم من تاريخ الاستسراق كانت دائماً عاملاً من اقوى العوامل في تقويته واثاقه ، وان كان في هذا ما فيه من خسارة محتملة على التزاهة العلمية . ولكن يهون من محاسونها على هذه التزاهة املنا ان يكون هؤلاء المستشرقين المهاجرين من اوربا الى اميركا اثر حاسم في توجيه هذه الدراسات العربية الاسلامية تلك الوجهة الخاصة لوجه السلم التي عرفنا عنهم في اوربا ، وفي ايجاد تقاليد راسخة في هذا الاتجاه في اميركا بحيث ترث هذه البلاد من اوربا نفس التزاهة العلمية الصريحة غير الملتزمة الى هوى ولا عصبية .

وانا لشاهد هذه التزاهة واضحة كل الوضوح في البحث القيم الذي كتبه ليفي دلافيدا عن «بلاد العرب قبل الاسلام» ووجود جيو ليفي دلافيدا من اعلام المستشرقين في هذا القرن ينسب الى الرحيل الممتاز الذي نجد في طليته من المستشرقين الايطاليين جويدي الكبير والصغير وكيتاني ونلينو وامادي ، وقد كان استاذاً في جامعة روما ثم انتقل عنها في اوائل هذه الحرب الاخيرة الى جامعة بنسلفانيا باميركا ، واشتهر خصوصاً بدراساته عن بلاد العرب قبل الاسلام . وهو في هذا المجال لا يقدم لنا صورة عامة من نتائج اجنات المستشرقين وعلماء الاثار في هذا الميدان . وكلنا يعلم ان عمدتنا في هذه الدراسة انما هي النقوش . بيد اننا وبلا لاسف لم نستعلم الوصول الى نتائج كبيرة في هذا الصدد فقلنا الى مثالة الحفريات المنظلة في هذه البقعة التي تد «هد الاسلام» . لهذا كان مجال القرض هاهنا اوسع جداً من مجال التحقيق ، كما ان كل نظرية يلقي بها في التعسير عا هنا هي تحت رحمة الاكتشافات الحفري الجديدة .

راول ما يسترعي النظر في بلاد العرب انها من الاتساع بحيث تحتل اكثر من مركز واحد للحضارة ، ومن ناحية اخرى زواها جرداء ، لهذا كان علينا ان نبداً بأن نتساءل هل كانت بلاد العرب دائماً صحراء ام ان الاحوال الحالية فيها حديثة نسبياً ، وقد اتى عليها حين من الدهر كانت تتسع لعدد وقوى من السكان ؟ لقد قال بالرأي الثاني كل من فنكلر وكيتاني ذاهبين الى ان بلاد العرب كانت في اصلها خصبة ثم حل بها الحلل شيئاً فشيئاً الى ان صادت الى الحال التي توجد عليها اليوم . ويؤيد هذا القرض وجود وديان كانت في الاصل مجاري انهار جفت ، مما يجعل على اقتراض حدوث شيه بما حدث في الصحراء الكبرى وصحراء وسط آسيا وجنوب غرب الولايات المتحدة ، ففيها كلها بدأ عصر الجفاف والحلل بعد ظهور الانسان ، نظراً الى وجود حفريات تشير الى ان هذه الامكنة القاحلة اليوم كانت معمورة في صرما . غير اننا وبلا لاسف لا نملك حالياً على تاريخ ابتداء هذا الجفاف ولا تاريخ اقدم استيطان بشري في بلاد العرب ، وان كان اكتشاف دوتي Doughty لبعض الادوات المتخلفة من العصر الحجري الجديد في أقصى شرق بلاد العرب واكتشاف برترام تومس Bertram Thomas لآخرى غيرها من ذلك الصنف في الجنوب يدل على ان وجود الانسان ببلاد العرب في عهد متقدم جداً ، وان كنا لا نعلم متى وجد وما مقدار المساحة التي استوطنها ، وما هو نوع الحضارة التي انشأها . كذلك لا نعلم شيئاً يقينياً عن بلاد العرب من الناحية النصرانية في عهدها الاول : فهل كان اعلمها ساميين ، ام هل اتى الساميون فحلوا محل عنصر اقدم ؟ ان بعض الشواهد الانثروبولوجية تدل على وجود نوع غير سامي بين عرب اليوم . ولكن هل «غير سامي» معناه «سابق على السامي» ؟ لسنا نقدرى .

ثم من كانوا هؤلاء الساميون الذين استوطنوا بلاد العرب ؟ هناك نظرية تقول ان بلاد العرب هي المهد الاصلي للساميين كلهم ولكنها يشورها كثير من النقص في الشواهد والادلة ؟ واذا فن اين دخل هؤلاء الساميون الجزيرة العربية ؟ سؤال لا اجابة عنه اليوم ان يجاب عنه الا اذا فقت هذه البلاد ابوابها للبعثات الحفري المنظمة المتوالية . وبلا ليت الامر اقتصر في الغموض على بلاد العرب قبل التاريخ ، بل لا يزال الغموض نفسه يحيط ببلاد العرب بعد التاريخ ، فمث ظاهرة تسترعي النظر تماماً في تاريخ الجزيرة الاول

الا وهي وجود حضارة عالية في قسما الجنوبي لسنا نعرف شيئا عن اصلها، ولكننا تعلم تمام العلم انه قامت هاهنا حضارة ممتازة، تعلم هذا من بقايا راثمة لمدن عديدة، ومن آلاف من النقوش مكتوبة بجروف خاصة وبلغة تدعى العربية الجنوبية، ومن بعض فقرات قليلة نجدها عند المؤرخين والجغرافيين اليونان والرومان، ونعرف ان بلاد العرب الجنوبية كانت تنقسم الى ممالك اربع رئيسية ودويلات صغيرة. اما الآثار الباقية فلا تزال ضئيلة لقللة الحفريات اما النقوش فقد حلت رموزها، وتبين ان خطها على صلة بالخط الفينيقي، وان كنا لا ندرى اهو مأخوذ منه أم هو غا مستقل عنه ناشئا كلاما من اصل مشترك. واللغة العربية الجنوبية على الرغم من قربها جداً من اللغة العربية الفصحى والحديثة، لا يزال فيها مع ذلك كثير من الكلمات والتراكيب الغامضة المجهولة لنا. والى جانب هذا فان العالم الاجايبه لمالك جنوب بلاد العرب معروفة لنا، اما السؤال الغامض الباقي فهو اصل هذه الحضارة التي قامت في جنوب بلاد العرب. ويحل بعض الباحثين وعلى رأسهم فنسكار وعمل وحديثاً دورتي Dougherty الى ردها الى تأثير عراقي مؤكدين وجود صلات تجارية بين السومريين والقسم الجنوبي من بلاد العرب منذ ابتداء الحضارة العراقية. غير ان هذا الرأي لا يمكن ان يقوم بالنسبة الى مجموع الحضارة العربية الجنوبية، والافلا فماذا كانت الكتابة السريانية المجهولة في تلك المنطقة؟ ولماذا كانت الممار فيها مختلفاً كل الاختلاف عن نموذجها في العراق؟ ولماذا اختلفت العقائد كل الاختلاف فيما بين هذين الاقلياتين؟ كل هذه الاسئلة تكسر من قوة ذلك الرأي. اما عن تزيغ هذه الحضارة فالأرجح انها تعود الى عصر سابق بكثير على القرن السادس قبل الميلاد، لاننا نراها في هذا القرن باقية كل غمها، ولكننا لا نعرف شيئاً عنها قبل هذا التاريخ. ولقد كان سيكون لنا في قصة النبي سليمان مع ملكة سبأ وثيقة قيمة، لولا التعموش الذي يحيط بشخصية هذه الملكة، لان النقوش السبئية المكتشفة حتى الآن التي يرد فيها ذكر كثير من الملوك لا تشير مطلقاً الى ملكة، كما اننا نعلم ان الملكية قد بدأت في سبأ بعد العصر المضاف للملكة سبأ بعدة قرون. والشئ الذي لا شك فيه هو انتشار النفوذ السياسي من الجنوب الى الشمال، لاننا نعلم عن وجود جاليات ثمانية في شأل الجزيرة من أشهرها دران التي يرد ذكرها في التوراة، ومكانها اليوم المكان المعروف باسم الملا في شأل الحجاز.

واذا كنا اذاً نعرف الكثير عن حضارة الجنوب، فأنسنا لا نكاد نعلم شيئاً عن العرب الشماليين، وكل ما نعرفه انهم شعب بدو وحالة لهم بعض مراكز استقرار ضئيلة نشأت تحت تأثير الموجات التي اندفعت من الجنوب الى الشمال في اتجاه البلاد المحيطة في سوريا والعراق. ولكن كان من نتائج غزو الاسكندر للشرق الادنى وانتهاء الامبراطورية الفارسية ان حدث تطور حاسم في صير بلاد العرب. ففي خلال القرن الثالث قبل الميلاد نشاهد قيام اول دولة عربية شمالية بلغت مكانة دولية، ونعني بها دولة النبطيين الذين استولطوا الاقاليم الممتدة بين البحر الميت وخليج العقبة وخلفوا المؤابيين والعمويسين في شرق الاردن حيث احتلوا مدائن شهيرة مثل بترا وبوسرا وجرش، بل ودمشق نفسها حين من الزمان، كما احدثوا وامتدوا الى الجنوب في قاب الجزيرة الشالي. ولكنهم لا يبدو لنا على انهم اعراب خالص بقدر ما يبدو انهم يسدو متحضرون تأثروا بالحضارة الارامية: فنقوشهم بالارامية وان كانت لغة التشاطب عندهم هي العربية. ولقد كانت لهم حضارة زراعية وانتشروا الكثير من المدن، وكانت لهم درجة من الحضارة تضارع اية حضارة اخرى في الشرق الادنى في العهد القديم. وكانت حضارتهم هذه ايدنا بالتحليل حضارة الجنوب: فقد خلف السبئيين شعب جديد هو الشعب الحيرة الذين ظفروا حتى الاسلام، كما قامت مملكة الاثباتيين التي خضعت للنبطيين ثم ازدهرت بعد سقوط مملكتهم. وبعد الصليانيين قامت دولة غوث التي كان لها اثرها في بلاد العرب الوسطى، ويلاحظ ان مركز دولتهم كان في مدائن حيث عثر وزييل، العالم التشيكي، على بقايا معبد وعلى نقش مكتوب باليونانية والنبطية.

بيد ان هذه الحضارة الزاهرة قد تلاها عصر مظلم انتقل فيه العرب من حياة الحضار الى حياة البدو، فقد انهارت الممالك النبطية وجنوب بلاد العرب، وجاء الحبشيون ففروها، وضاعت مملكة الحيرة بين يوت ذي نواس، وهذا الاخلال يشمل عينا في التقليد المعروف باسم انهيار سده أرب.

ولكن ما لبث العرب ان استأنفوا الحضار في القرن الثالث المسيحي فقامت دولتان هما دولة الغسانيين في دمشق ودولة اللخمين في الحيرة على نهر الفرات، وكان منهم امرؤ القيس الملقب بملك العرب الذي حاول ان يوحد العرب في مملكة واحدة، ولقد خلف لنا نقش تبلي. مكتوب بالغة العربية فيه ذكر لسنة وفاة امرؤ

القبس هذا في سنة ٣٢٨ م .

وانه ليتين من كل ما قلناه انه على الرغم من ضالة معلوماتنا ، فاننا نستطيع ان نكون لانفسنا فكرة اجمالية عن هذه الحضارة التي وجدت في بلاد العرب طول الاكثر من الف سنة قبل الاسلام ، وقد بلغت درجة عالية من المدنية وانتشرت من الجنوب الى الشمال واثرت تأثيراً حاسماً في حياة شبه الجزيرة العربية . فما بالك اذا قامت البعثت الاستكشافية المنظمة وافقت عليها الدول العربية بسخاء ، وفتحت هذه البلاد للباحث كلها بلا استثناء ؟ هنالك يتضح كل تاريخ شبه الجزيرة العربية وينظر الناس الى العرب نظرة اخرى على انهم شعب موغل في الحضارة العالية من اقدم عصور التاريخ .

تلك خلاصة هذا الفصل الممتاز الذي عقده ليني دلافيدا وكان خير ما في هذا الكتاب ، ولقد اطلنا في التنويه به كيا نقدمه نودجاً لما في هذا الكتاب الجيد من مباحث نفيسة .

واذا ما انتقلنا الى الفصل الثالث الذي كتبه جوليين اوربرن عن « اصول الاسلام » وجدنا انفسنا ازاء مسائل شائكة لم نألفها بعد في دراساتنا للاسلام ، وان كان المستشرقون قد اولوا هذا الجانب قسطاً وافراً من العناية ، ونعني بها المسائل الخاصة بناتو الاسلام في نشأته وتكوين عقائده وتكييف مناسكه وعاداته والدينين السابويين المعروفين في بلاد العرب ، وهما اليهودية والمسيحية . والمؤلف يحاول اولاً ان يحدد الجاليات التي كانت تقيم في مكة ويثرب من يسيعة ويهودية . وكيف مهدت السبيل لظهور الاسلام كدين سماوي جديد قصد به الى العرب ، لان رسالته كتبت « بلسان عربي مبين » ، ثم يحاول ثانياً بيان الارتباط الوثيق - عنده - فيما بين المضمون الداخلي للاسلام من ناحية واليهودية والمسيحية في الصورة التي كانت عليها في تلك البقعة - من ناحية اخرى ، - متجهاً الى اثبات تأثر من جانب الاسلام بهذين الدينين الاخرين . والمسائل التي يثيرها هاهنا من الخطورة بحيث لا تحتمل التلخيص دون المناقشة وازد احياناً ، اما وليس هاهنا مجال لهذا ، فمن الخير ان ندع الحوض فيها ولو الى حين .

ولنض مسرعين الى الفصل الرابع الذي تحدث فيه جوستاف جرونبيوم عن غواشعر العربي وتركيبه ، فقال عنه ان الشعر العربي الاول كان - بعض النظر عن كونه أداة سياسية - فناً غنائياً من النوع الوصفي يتناول طائفة محددة من الموضوعات التي جرت التعاليد

على معالجتها . والبقايا التي لدينا تدل على أن قصائد كبيرة من عروضه قد تأثر بعروض الشعر الفارسي الهولي ، وبخاصة بنحو الرمسل والمتنارب ، ومن المحتمل كذلك الخفيف ، بلوح انها تكييفات عربية فهاوية فارسية . ويمكن كذلك ان يكون السريان قد أثروا في النشأة الاولى للاصطلاحات الفنية مثل « بيت » الخ . اما الرجز فقد نشأ تحت تأثير الاستعداد في القوة الشعرية للكلمات ، فكان نوعاً من التوايذ والكلمات الشعرية التي يقصد بها الى التزميم او الالعاب وكان شيئاً بذلك النوع الذي انشأه الموشاي العربي ، ثم اتسع نطاقه فأصبح « الهجاء » ، اما كلمة « شاعر » فأنشؤة تحت تأثير مكانة الشاعر بوصفه عرافاً ، فلفظ « شاعر » معناه « عارف » من شعر بالتي . « أي عرفه » والصلة بين « المروية » وبين النوع الاول من الرثاء المعروف باسم « النياحة » تشبه الصلة بين « الهجاء » وبين كلمات الرجز الشعرية . وهكذا يستمر الكتاب في بيان تطور انواع الشعر العربي وبجوده وتطور النقد الادبي ، مدياً في خلال هذا كله بالفكر الجديدة ونظرات عميقة يحسن برجال تاريخ الادب العربي والنقد لدينا ان يقرأ عليها ويفكروا فيها .

ولا شك في أن الصورة التي يقدمها لنا الاستاذ نبيه فارس عن النزالي على صورها دقيقة واضحة ، عني فيها خصوصاً بالوسط العلمي والسياسي الذي عاش فيه الى حد طمئ أحياناً على دراسة النزالي نفسه ، وهذه الدقة التي اشد فيها صاحبها على « المنقذ » ثم على احياء علوم الدين « فتلخصها تلخيصاً عاماً ، ثم مرج على تأثيره في اوروبا عن طريق تهافت الفلاسفة » وقادر بينه وبين الاديوس توماس الاكوييني ، ثم على تأثيره في الشرق كما يظهر عند ابن العربي على اليهودية عامة ممثلة في فلاسفتها ولاهوتيتها . وعلى العموم فإن هذا الفصل وان لم يأت بجديد الا في قسمه الاول ، فانه يتم حقاً مفيد للقارئ الاوربي .

وقد كان يودنا أن تقدم للقارئ صورة شاملة عن كل فصول الكتاب ، ولكن المجال هاهنا لا يتسع لها ، وما قصداً من هذا المقال ان نقفي القارئ عن قراءته ، بل بالعكس انما قصداً الى اغرائه بقراءة هذا الكتاب الجيد الذي لا يقتصر نفعه على الاوربيين الذين سيجدون فيه صورة واضحة لاثرات العربي ، يتدلبنا نحن العرب فما أحوى هذا الكتاب أن ينقل الى لغة أهلنا !

عبد الرحمن بروي

القاهرة

الطفل المريض

بسمه تبارك وتعالى

ويكن أيتها خافتاً فتهدهده وتثني له : نام ، نالنام ، يا حبيبي نالنام .. والطفل يبكي ويتلوى ، واليلة من ليالي كانون القارس ، والمطر يقرع النوافذ ، والريح تعول في الحارج ، وسكنا ابرقت الدنيا

وارعدت اوتعش ضوء الكهروبا . والوالد كثير التطير والتشازم ، يرى كل شيء من حوله اسود قائلاً ما دام وحيد مريضاً . فما لهذا الضوء يترجع ويهم بالانطفاء ؟ واه ! انك تعرف انه لا يقوى على الحياة اذا انطفأ الضوء الاخر ، وانه لا يسم للحياة الا من خلال بسة ضئيلة . وها هي ذي ساعة المدرسة الكبرى المجاورة تدق الثالثة صباحاً والطفل لم ينف بعد . ولكن ، ما له قد كف عن البكاء ؟ لا يدرى الاب آخر له ان يبكي الطفل ام خير له ان يسكت . وقد انقطع المطر في الحارج وهدأت ثورة الطبيعة وغمر السكون كل شيء . انها لممكنة موحشة قاتلة ، وهذا الضوء الذي كان يتراقص منذ هنيئة قد اصبح هو الآخر هادئاً هادواً يخيف الوالد ويذهبه . الساعة الآن الزائلة وقد حان وقت الدواء . ويقوم الوالد الى قارورة الدواء ويسكب منها ملعقة صغيرة ينالها الام وتجرحها الصغير فيبكي . هذا الوالد السادر اللامي ، هذا الشاب العائش بين اوراقه واقلائه واخيلته واشباحه اصبح انساناً ضعيفاً امام هذا الانسان الضعيف ، وأباً خائفاً مشفقاً امام هذا الولد المريض .

وحملت تباشير الفجر الى الثلاثة فترة من النوم فاغفوا جيعاً . وافاق الاب في الصباح على صوت زوجته تنادي ابنها وتقول : يا حياي ، يا تقبني ، يا روحي . فاذا بسة على ثمر الصغير اشرفت بها الدنيا ، واذا الحياة تدب في ذلك البيت الخائف ، بعد ان عاودت ديبها في ذلك الجسد الصغير ، والشارع قد ضج بالناس والاشياء ، والشمس قد شقت حجب الغيم ونفدت الى العرفة . كل شيء يبتسم في هذه البسة الحية . وكل شيء يضحك . وتسمى الام بربني الاب سهر الليل ، وتعب الليل ، وخوف الليل ، فقد زالت الحمى عن الصغير ، وشفي محمود !

الليل ، والطفل متعلق
افس
بشدي له وهو في سورة
الحرارة ، قطعة من نار . ولا تدري
الام انتم طفلها ام هو صريع هذه
الحمى التي تتأجج في جسده الناحل
الصغير . ولكنها تعلم انها اذا

تحركت او تكلمت استيقظ الصبي وبكى واعول . فهي لذلك جامدة في سريها منذ ساعات ، محتضة ولدها ، جامدة صدرها فولاً له ، ملقية راسها على خشب السرير لا تستطيع ان تنام او تستريح . وقد مضت عليها ليل وهي لا تنام ولا تستريح

مرضت الام حين مرض الصبي ، ونسيت ، وهي شابة في مقتبل العمر ، زينتها وراحتها وبناتها وزوجها واولادها والناس جميعاً ، وانحصرت محروم الدنيا في هذا المم السازل ، ومشاغفها في صمود الحرارة وانغاضاء ونوم الصبي ويقلته ، وسكونه وبكائه .

الام والطفل : هما الحب في الذروة ، والحنان يسيل في النظر ، والشفقة مكتوبة سطوراً على الجبين . قلبان ينفقان ماء ، وجسمان متصلان ليل نهار اتصالاً وثيقاً دائماً لو استطاعت هذه الام لو هبت الصغير كل صحتها لتوفر له الصحة ، او قدرت ، لذات ، في سبيل حياته ، حياتها . كل كلمة تصدر من فمها ابتهال منها الى الله . وكيف لا يسم الله ابتهال الام المروعة الخائفة . انها الام واقه الله !

وها هو الليل السادس يقبل . والام تحشى ساعات الليل من دون سائر الساعات . فهي تقول لزوجها : اذا جاء الليل ، جاء الويل . وعيناها وعيناها محدة الى هذا الوجه الابيض الصغير ، واذاها واذاها مضنية الى صغير الصدر الضيق والتنفس السريع . لكن العين تلتهم كل اشارة او حركة فيها دليل على العافية والبر ، فاذا سرى الخوف في مفاصل الام والاب احاله الايمان بالله املاً والثقة بالعلم اطمئناناً . وها هو الطفل يتحمل على صدر الام

بين اطلال تدمر

الآلاف وتبدد الخلال ، وقدموا الموت ..

ويل للخالود من الموت ..

آه ! ولكن الموت سيلب الخلود !

- ٢ -

١٠ أجل هذي المضارب كأنها ، تترادفة يلحق بعضها بعضاً ، أو
مسك بعضها بأذيال بعضها الآخر يجتثي فراها . تحنو على الوادي ،
حنو اشفاق وعطف ، وتضم في أحشائها قبور الموتى ، ثم ينفرج
الوادي عن صحراء . شرقه ضاحكة ، خصبة ، فيها التخييل والريشون .

ما انبلك ايها المدينة !

لقد رأيت عظمة البذخ ، ونمت سلطان الملك ، وشهدت المواكب
تعدو الى زين النساء ، وفرحت وضحكت لها ، فلما خلفتك ، لتقاتل
عن ملك وتدافع عن وطن ، بدست بدست بسمه ساخرة ، ونثرت عن
اقواسك أكابيل القار الدابل ، وانفردت ، وقد تحلى عنك الجدد ،
هادئة ، صامتة .

تري اهدأ عن الظفر الذي لاقيه في ايامك الحوالي .. ؟

لقد كنت آية للفرح ، وكان الغنائون يقتبسون من جمالك ويتقربون
من اسلوكك بخلودك .. واليرم ، تنفردين ، هادئة ساخرة ، تنزأ منك
الرياح ، وتمت في جوارك الولدان ، بين التلول ، والاطلال ..
اولها أهلاً بصير الفن .. ؟

- ٦ -

٢٠ صنعت في الجبل ، لاصل الى القلعة ..

قلعة شائعة ، كأنها تريد هرباً الى السماء ، فيجنباها الجبل الى
الارض لقد صنعت دائرة ، وبلغت قمة ، حبستها القلعة ،
فاذا امامي خندق عميق ..
عميق ..

فلاهيض بجند ، آه !
سأهيض لاصعد ، واصعد
لاهيض ، ذاك مثل الدنيا .. ١٠

٢٠٠ ساكنة سكان الموت ، كثية حزينة . لا ترى غير
كسبان من رمال ، وكومات من صحور ، وحجارة ضخام عظام ، هزأت
بها السنون ، فلم يحفل حجرها الصلد ، ولا بناءها الجدد ، فومت بها ،
من عل ، بحملة مهشمة ، متناثرة !

وهذا الوادي ، وادي الموتى ؟ ما ترى فيه غير قبور - قبور
في بطن الارض ، حفرت في الصخر ، وزينت بالقش ، وزادانت
بصور الابل والاحباب ، وقبور اخر ، تعالت عن ان تدنو من
الارض ، فذهبت بطبقاتها الثلاث ، في الفضاء ..

يا ويح هؤلاء الموتى ، مجهولون ، مضرا عن الدنيا ، وساخفوا
ابرح ما تركه النحاتون الرومان في هذه المدينة الخالدة . فلبيت
عظامهم ، وظلت فوقهم الحجارة ، والعمد ، والسقوف ، طأوا اسارى
الحفر وضحكت فوقهم ، احجار قبورهم ، من هز الدنيا وسخوية
العمر ..

ساكنين ا ترى ما هي خطيتهم . لقد تحسبوا ، وعاشوا ،
وتألفوا . وتعلقت قلوب بقلوب ، وهفت نفوس الى نفوس ، ثم تفرق



قوس الظفر بتدمر
ورداء في اسفل
الجبل تبدو القلعة .



ودخلت .

فلام ، وريح باردة ، كأنها مورت بلبلان . . وعناكب عشت
في المرات ، والدهايز .

ما أروها ! ، هذه المرات والمضايق ؟ وتلك المدخل ؟ ،
ولكن اين الخارج . وهذا الصهاريج ، وتلك الكوى . .
سكون ، يحيم فوق خراب ، وظلام يبيت في النفس الرعب .
لقد قالوا : انها قلعة شادها الامير المعني فخر الدين . .
انصح هكذا قلعة شادها امير ؟ . .

- ١٥ -

... لقد آن ان استوبح . فقد نهكني التعبان طول النهار ،

بين هذه الاطلال . لقد طلعت الشمس للغيب . أعود الى معد بمل . ام آوي
الى غرفتي ؟ النساء ، رائيم هادي . ما اجدره ان اتقم به ، آه ! الاستلق حسا ،
فوق التراب ، امام قبر الاخوان الثلاثة . اني احس بالراحة تدب في بدني .
تري التجد راحة اروح لنفسك من ضجة في التراب ، او خفقة في الدماء ؟

الشمس تذهب العمدان السمر ، والصراخيز تهزج سكوى ،
والهراء اصدا . اصوات ، وثغاء ، ورغاء . موسيقى فيها عذوبة وكابة وصفاء
كأنها قسم من هذه الدماء ، او هذا الهراء ، او هذه الاقواس الساءقة ، او تلك
الاودية المخذقة . ينبوع من الاصوات ، يلبس ، ثم يحتل ، ثم يتحد . ثم يفسد .

وهناك طيف يعقب ، طيف حسنا ، انما بدوية مبراب ، قبلتها الشمس من
وجنتها وشفتها الف قبلة وقبلة . تمشي طروباً ، تسوق ناقتها ، وتقرن جنلي .

وخفق قلبي خفقة . ليثها تكلمني . لقد مللت كلام الصخور وحديث الرسوم
يا هنائي ! لقد ابتسمت . أتراها بسمه شركاً ؟ لقد نظرت الى مستفهمة ، وقالت :
أهذي قصور ؟ فأجبته بل قبور !

قالت بلوعة : أو له نحن لانعرف شيئاً . ولا يعرفنا أحد !
عذوبة سالت من شفتها ، وحرقة فجرها قلبها .

سبحانك يا مبدع الجبال !

ما ضاع تطواني مبيتاً . لقد رأيت اليوم جبال الحياة ، وجبال الموت . جبال
الحياة المائل في عيني نظرت الي بها بدوية هيفاء ، تدويان رقة ونعساً
وحلاوة ، تنحرق على ضيعة الجبال بين الكتبان والزمال . وجبال المرات المائل
في هذه الصخور ، وتلك القبور ، وفي العمد القائرة المنقوشة المذهبة .

جبال الحياة ، وجبال الخلود

تري ايها احلي ؟

صالح الدبره والفجر

نرم

محمد

القصيدة التي أنشدتها أندكتور
تتولا فاض في الخفة التي إقامتها كلية
المقاصد يبروت في ذكرى مولد
التي العربي الكريم .

*

*

على عجزى أهر به الزمان
وأبعده على الدنيا أمان
لموليك المبارك مبرجنا

نسي الدرب أغمي بيانا
وأرفع لافوس لوا. حق
وأجل في حنايا كل صدر

به التاريخ ضاء وعز شانا
فأليس رملها الباري جانا
وأفسح لافاود هيا مكانا
على الآفاق يطربها أذانا

ألا في قصة التاريخ يوم
تبليت الجزيرة عن سناه
وحرك وحشة الصحراء أنسا
ودوى صوته في كل أذن

فكاد فيك من ظنا وصاني
ولا يقضي الحياء الله أينا
عليه نام صدرك منذ كنا
وما كثرنا يروي الجنسانا
وكنت كالمرائس عفتونا
تجر به المعارف ارجوانا
يودعها ويبتق الاوانا
ورب عكاسه معقود لسانا
يود حفيفنا آنا فانا
وقالت القدر كن فكانا
تعالى النور فاكسح الزمانا ..
ليأخذ بالهدى الدنيا احتضانا
وحلى الفقر حلته وزانا
وكسريدأ وجوعا وامتهانا

رمال اليد كم أنفوت ظنا
يلج بتقوك الحاري حنك
وما دت القوافل اي سر
واي غد يعال به جنانا
تمر بك الليالي كالحبات
وفي أجناسها حلم بعيد
وحول اللات والزمى طواف
ونجم الجاهلية في افول
وأجنة الملائك في الاعالي
الى أن شاء ربك فاستقوت
ومن مهد قروشي عديم
فيا لك مولدا حضته دنيا
ويا لك من يتيم عز يتا
يحمل نفسه زهدا وسهدا

ولا يثنيه وعد او وعيد
يرى في الشمس مطمح ناطقيه
فلو وضوهما في واجتهيه
حواء حمره كثر الدهر حيناً
يروح اليه جبريل ويغدو
ويصلته على الكفار شيفسا
وكان هناك في الحكم انتداب
فلوروم الشام عنت ودانت
فهدم بعد قيصر مجد كسرى
وأعطاهم على الاسلام دينسا
ولم يجس من الانبياء جوقاً
فكان لها جلال الأم عرشاً
تخضب بالحياء لها جبيناً
في دنيا استعزي ان اقصاً
يفيض تساعاً ويشع عدلاً
تعاليم لو العرب استمرت
يتيم الدهر للدهر انقلاب
وهذا اليوم بارقة الاساني
ليجمع شمله في المجد شعب
ولبنان الذي للضاد فيه
وقد أبقي لها في كل ارض
يجري اليوم عذك مستقلاً
بني امي خبنا القرب دهرأ
فكيف يقرنا منه سراب
تباعدنا زماناً وافترقنا
وهلا كان غير الحب حال
ولا خوف على استقلال شعب
ومسا استقلالنا الا سبيل
ضربت الي السماء بجي عيسى

فيلوي دون دموتسه العنانا
ويبدو وجهه القمر افتنانا
لما رضي التخاذل او تواني
ولنزاً في دجن النار استباناً
فينفج الفعاحة واليباناً
وتقطع دماً يقطر حناناً...
على الاعراب يتقلم هوانا
وللفرس العراق عنا ودانا
وقال خذوا لوجدتكم ضيانا
يوزع في الوري الشيم الحسانا
ولم ينقض لساعتها كيانا
واحسان البزوة صولجانا
وما خضبت ثوبتها بنانا
جديداً للكرام فيك هانا
ويصل من بني حرباً هوانا
عليها لمن منها ان يثانا
دعا الاجيال منها ما دهانا
تطل فلا تضل بها خطانا
على شرف العروبة ما استكانا
منابع لم يفجرها سوانا
يجل بها بنوه ترجمانا
فتبلا بهجة العيد الجنانا
وشاهدنا مطامعه ميانا
نشد له الرجال ومسا حقانا
فهل جاء موعدنا وحانا
يوجدنا ويبلغنا منانا ؟
اذا هو حول رايته تداني
لنوسم في ماء العليسا مدانا
وحقك يا محمد أن يصانا
قوله فاض

كنت

لا عوام خلت، أشهد مولد الربيع في حديقة خضراء، بولقد وقت يومئذ فجأة، وامسكت برعم لم يفتح بعد، دون سائر البراعم التي شقت جدرتها عن الطيب والرائحة. وقلت للبرعم في مثل النصبة، ان يدع الطيب في ايامه، وكان الطيب يصبح ما وراء الغلائل الرقيقة، فكأنه كان يستجبل ساعة انتصاره للفترض وموكبه اللذيذ.

ومرت الايام، ولم أعرف عن ذلك البرعم شيئاً، أطلق الطيب في الافاق، فأتت بعد هبة ربيع وترنح نباتات، ام سمع القول الفصل فظل في البرعم سرّاً حيد النحل والطير، واقام الشوك وأقلمه في تلك الحديقة العذراء. . . ولم أر تلك الحديقة منذ ذلك اليوم.

وقر الايام، وانا أفكر في ذلك البرعم وفي المصير الذي وافاه. أمأت برعماً . . . ام مات وردة حمراء.

واليوم، وقد بعثت الشقة بيني وبين تلك الحديقة ذات البرعم الحبيب، اتساءل - ويحيى لي - عن ولد الربيع المقبل، وعن برعم يضرب من التفتش في موكب الورد. ولكن الايام، اعني من ان تمهل، واسرع من ان تترتب.

ومنذ اسابيع، اضل على برعم، نائمة بعد في فجر الطفولة، تحاول جديدها التفتة الى رياض الصبا. فترتني - عاطفة الذكرى، وذكرت ذلك البرعم،

فاستحات الطفلة في عيني برعماً أخضر، يحاول الإفراج عن الطيب. وكانت بعد في سكرة الذكرى، ساعة قلت لهذا البرعم الجديد ان لا يطلق سراح طيبه، فيكون بذلك حديث الشوك والورد والرياح المجهولة. واحبان اكون مخلصاً، لقد احببت البرعم الجديد حباً جماً، واتزنته من قلبي منزل الولة والتدليس، والبرعم الجديد، ريق بعد تحوله للفتنة والبسوة والاعراء. الطفل. . . ولقد تحدثت الى البرعم الجديد وغرت وجده ويجدي وجهه جمي ونظرته بنظري، وشبهت كيف طأطأ الشوك رأسه احتراماً للنجوى، واحفالا بالمهرى البكر في قلب الشتاء، والذي عشت فيه الربيع المقبل والاف البراعم الناضرة للفتنة. ولقد كنت بعد ذلك مع البرعم الجديد على قسوة، فمالتيته مرة الا وحاولت ان املا طريقه بالاشوك، ولكن غريزة التطلع الى المجهول، جنحت برعمي الى شاطي الحب، هذا الشاطي الذي تهدر على رماله وصفوره امواج الرجل والمهرى والولة.

واضبحت مع البرعم على الشاطي. المسحور، وكان حديث كان ش وكان قول كثير، وغمرت البرعم بالدف، والحنين، وخفت عليمين

الامواج! والامواج مصقة وذئير وسحق، والامواج هدر وغمر ورياح، وللا، واج حديث ريب وقول كثير، وفي غمرة الله، على شاطي. الحب، قلت للبرعم ما لم اقله لاحد، وما لم يجسمه احد، قلت له ان الطريق الى النعيم اشواك وان الغذاء المجزرة الشوق دونه حصداً انتقاد، وقلت له ان دوفي يودونه مدار من الشك والاثرة والانس، وكان البرعم يتأبل على غصنه، ويترق عينه في عيني، وكدت امتسلم الى غمرة التطلمع البعيدة ولكن البرعم عاد لي الى واقم حصنه الخيل، فزأيت الدنيا في عيني لي وله، لنا وحلداً.

وابتعدنا عن الشاطي، وكانت خطي البرعم قلقة على الرمال في الطريق الى المجهول، وكانت الاصداء ترج في اذن البرعم، اصداً اكرة مرآية عابثة، وكان البرعم يتجرم بما يسمع، ويد لو كان بين الاصداء وبينه هوة غريبة، ولكن لسان السمع منته اذعه على السمع، فسمم، وكذب به الى الريح، فراح وهو ينكر الاصداء، ويرى على خيوطها اطياف غداً اسود قائم، اطيافاً تحلم احلام الطيب، وتند الوان البرعم في تفتها صوب الحق.

وافترقت للشك في البرعم، نظفرت على اوراقه الخضراء، دوع الثبصر، ولائي. الانتظار فكأنه كان يثاق انفلاقي، منه ورجعت اليه. واليوم، والبرعم بعد يهيم مثل



الثورة على الاصداء، اراي ابتعد عنه، كان ذلك من اجل البرعم الاول الذي آرت له ان يظل قياً على طوبه ام كان ذلك لان القضية مندي قضية برعم بدأت تمث به الرياح.

ولقد نظرت اسم الى حديقتي، والشتاء، يفرش دواده الابيض على جنبات القرباب، فزأيت برعماً يتطلع الى فوق. فذكرت العطلة. . . برعمي الجديد.

وقلت لبرعم حديقتي، أطلق الطيب من مقاله؟ واجاب البرعم لا تمد الى الطفلة، برعمي الجديد. واتركها للاصداء. للرياح. . . اما انا فان اطلق الطيب من مقاله. . . وسأظل على الدهر برعماً ابداً. . .

وللطرفة اليوم. . . لبرعمي الجديد. . . ان تنتظر زوال الرياح وموت الاصداء. . . فانا بعد اجاور الشوك في انتظار المعجزة.

صالح الاسبر

فيل

ان أتكلم عن شاعرا
المحبوب ابراهيم طوقان
من حيث هو شاعر ، لا بد لي
من كلمة في للشعر نفسه .
ما الشعر ؟

ضمه مكان طيب حسن
بعض الظرفاء ، فقال احدهم :

اجد لنا طيب المكان وحسنه

فقال آخر : هذا هو الشعر

فقال آخر : وما الشعر ؟

فقال آخر : هو ما يثير الشعور

فقال آخر : لو علمتكم تأثرت شعورك فهل تحسب اللمسة شعراً ؟

فقال : نعم ، واجيبك بقصيدة مثلاً من وزنها وقافيتها أقول

فيها : لو ذات سوار لمعتني ا

لثريف الشعر طريقان : ايجابية وسلبية ، الايجابية ان تقول

انه كذا وكذا ، والسلبية ان تقول انه ليس كذا وكذا . وهذا

ما يقال له المرف الجامع المانع ، اي الذي يجمع الجود ، ويمنع

غيره من الدخول فيه . وقد جمع المتنبي الطيفيتين في تعريفه

المجد حين قال :

فلا تحسبن المجد زقاً وقينه فما المجد الا السيف والفتك واليكر

وقد اختلف الناس في الطريقة الايجابية : ولا يتسم المتاملان

لنقد آراءهم ، فنبت او نغي ، ولكن لناخذة الشعر نفسه

ونستخرج تعريفه منه .

اذا اخذنا الشعر وجدنا انه موضوع واسلوب

أما الموضوع فأمران :

الاول : الانفعالات النفسية القوية من حب وشوق وشكوى

وعتاب واستطاف وحساسة وفخر وثناء ومدح وهجاء .

الثاني : الحكمة ، وهي شائعة في الشعر العربي ، وان كان

القدماء لا يمدون الحكمة من الشعر كما اشار الى ذلك المتنبي حين

قال : أنا وأبو قحط حكيان والشاعر البحراني .

اذا عرفنا ذلك فلا غرابة ان يخلو الشعر العربي من الرواية

- وان حاول بعض شمرائنا ان يبدوا هذه التلمة ، فوفقوا

وأجادوا - لأن سياق الرواية ليس كله يستحق ان يكون شعراً ،

وأنت اذا تقفدت دواياتنا حتى رواية ابي زيد بن رزق الملالي المشهور

وجدت انها نثر وشعر ، النثر في ما يصلح للنثر ، والشعر في ما يصلح

ابراهيم عبر الفتح طوقان

بقلم خليل السكاكيني

★

للشعر ، يسرد الراوي حكايته
نقرأ يعيش فيها ويتأثر بها كأنه
احد أبطالها ، فإذا جاء المحرقف
غرام او عتاب او حساسة تحول
الكلام شعراً فأخذ ربابه وغناه
غناء ، حتى اذا افرج ما يجيش
به صدره من هذه الانفعالات

ترك الرباب ، وعاد الى النثر والحديث .

اذا قيل ان هذه الروايات انما افترقت في قالب شعري لانها

غنائية من اولها الى آخرها ، ولما كان الغناء ، موزوناً وجب ان يكون

الكلام موزوناً ، ليوضع موزون على موزون ، فالجواب اذا لم يجز

ان تكون الرواية كلها من اولها الى آخرها شعراً فكذلك لا يجوز

ان تكون الرواية كلها من اولها الى آخرها غناء لان موضوع الغناء

هو ، موضوع الشعر نفسه فما لا يصلح لهذا لا يصلح لذلك .

اذا جاز ان تكون الرواية شعراً ، وجاز ان تكون غناء ، اذن

لنترك النثر ولنترك الحديث ، ولنكن مثل الطيور المفردة لانتبادل

التحيات ونعذب اطراف الحديث الا شعراً وغناء ، وليس لمن لا

يحسن الشعر ولا يحسن الغناء الا ان يقع في بيته ولا يكلم انساناً

المجد الى موضوعه .

أما اسلوب الشعر فأمران :

الاول : ان الشعر موزون ، فخذ الشعر العربي من أقدمه الى

احدثه تجده موزوناً ، ومن العجب ان يحسن اولئك الشعراء القدماء

- وبينهم من كانوا من خراب البادية - اقامة الوزن في كل ما

قالوه ، مع ما في أوزانهم من صعوبة ودقة . وقد يكون الفرق

بين الوزن الواحد والآخر طفيفاً جداً لا يشعر به .

الثاني : ان الشعر مقفى ، كان القافية جزء من الوزن ، ولقافية

شروط حصة أهمها أن تكون مستمرة في وضوحها كأن البيت بني

عليها لا مستمدة قلقة لا تربطها بالبيت رابطة ، وهذا لا بد لنا أن

نقول أن اللغة العربية ، وزونتها تفتي أطوع القفات للوزن والقافية

فما من لغة الا وجدت لها اخوات كثيرات من وزنها وقافيتها

الثالث : ان الشعر اجمال لا تفصيل ، أو كما قال البحراني :

الشعر لمح تكفي اشارته وليس بالهذر طولت خطبه

من ذلك قول ابن زيدون :

وإذا همرا غصون الانس دابةً قتلوها فجنينا منه ما شينا

لم يقلص ما جناه ولكنه أجمل فقال جنينا منه ما شينا هو الاجمال

هنا أوسع مدية من التفصيل وأدعى للتفصيل من قبيل اذ ينشئ الصدر ما ينشئ ، وذلك لأسباب منها ان الشعر لا يتسع لاستيعاف البحث في كل موضوع والاحاطة بأطرافه ، ومنها ان الشعر ليس من وظائفه ان يقص ، فاذا عرض لموضوع فليترج منه وجباً أو جملاً ، لا ليلقي درساً فيه والاحاطة في هذا يعني من التفصيل .

بلى قد يقص الشاعر ولكن لا يقصد التفصيل ، ولا يفضل ذلك تهديداً لعرض آخر

خذوا قصيدة البائي المشهورة بموعظتها
تذكر بالباب ظيماً غريماً وعيشاً رقيق الخواشي ضيراً
يصف الشاعر في هذه القصيدة وادياً فيسبح ثياباً بشي . من
التفصيل فيه ذكاء ومهارة وجلال وموسيقى ، من ذلك قوله
سباً طيباً ونظراً ظليلاً
وباء غريباً وروضاً مطيراً
تائق فيه النضوب الصوت
وبلم فيه النديب للندى
ولم يفعل ذلك كله اتعديداً لقوله في آخره :

هناك خلفت صفو الحياض
نعم ، ودفت الغشا والسرور

لأننا لا يمكننا ان نعرف قدر مصابه بالآ
اذا عرفنا قدر ما فقد ، ان انطق الله آدم بالشعر
لوقف على باب الجنة مطروق الرأس حزينا
يودعها مثل هذه القصيدة

خذوا قصيدة الفرزدق التي سرد فيها
حكاية ذلك الذئب الذي لقيه في الصحراء في
ليلة ظلماء ، فأعلمه من زاده ويده على قائم
سيفه وجعل يمدحه كأنها دفيقا رحل بشي .
من التفصيل . من ذلك قوله :

وكل دفيق كل رحل - وإن ما

تأمل الغشا قوماها - أخوان

فلم يذكر كلمة «أخوان» في آخر هذا البيت حتى نسي الذئب
وإژاد والسيف والصحراء والحديث ، لج به حنينه الى ولديه الطامع
والقيم . فقال :

فلم يرجع الله نفساً تثبت على أثر النادين كل مكان
وأصبحت لا أدري أين طاعتاً أم الشوق حتى للسمع دعائي
وما منها الا تولى بشعبة من القلب عقالين تتقدان

ان حنين الفرزدق الى ولديه والذئب يتحزن لاند به وقد

تكسر ضاحكاً موتك حاسة يذهل فيها المرء عن نفسه عطين
تعني له الهام اجلالاً وكراماً

اذا قيل ما الشعر ؟ قلنا : موضوعه كذا وأسلوبه كذا ، هذه
هي الطريقة الايجابية . واذا أردنا ان نعرف الشعر على الطريقة
السلبية قلنا : ان الشعر ليس فلسفة ولا علماً ولا ديناً ولا ترفيحاً ولا
سياسة ولا نقرأ .

ولكن هناك امرين لا نستطيع ان نعلمهما :

الاول : قول الشعر .

ماذا يوحى الى الشاعر ان يقول الشعر ؟

القلب ؟ لماذا لا يكون كل اصحاب القلوب شعراء .

القل ؟ لماذا لا يكون كل اصحاب

القول شعراء .

التراخي ؟ لماذا لا يكون كل الناس شعراء
الحوادث ، كحطروب والثرودات
والانقلابات والنكبات ؟ لماذا لا يكون كل
الذين يصلون آثارها شعراء .

الانفعالات من حب وصكره . من
فرح وحزن . من فخر وحماة الى غير ذلك ؟
لماذا لا توحى هذه الانفعالات الشعر الى
هذا دون ذاك ؟

الطبيعة ؟ لماذا لا يكون كل الذين تقلم
التبرء وتظلم الباء شعراء .

المدرسة ؟ كيف نعلم ظهور ذلك الحلم
التغير من الشعراء الاميين ابناء البادية قبل
الاسلام وبعده كاسرى ، القيس وطرفة بن العبد
والمثلى والفرزدق وغيرهم ، بل هذه المدارس
في عصرنا هذا تعلم اصول الشعر وتكلف حلالات ان يحفظوا الشيء
الكثير منه ، ولكن قد تتوالى السنين اثر السنين قبل ان يظهر
شاعر بين هذه الافراد الكثيرة من الطلاب .

بل سل الشاعر نفسه كيف صنعت هذه القصيدة او تلك ؟
فلا يدري كيف يجيبك . بل قد ينظر هو نفسه في قصيدة قالها
من عهد قريب او بعيد فيجيب كيف صنعها ، ولا يشك انه لو
حاول ان ينظم مثلاً لا استطاع ، وقد يحسب انها ليست من نظمها ،
كان لكل شاعر صاحباً من الجن يلهمه الشعر كما كان العرب



الشاعر ابراهيم حوتان

القدماء يقولون، أو كأن الشعراء أشبه بالابواق تخرج أصواتاً ولكنها ليست منها كما قال سقراط .
الامر الثاني : التأثر بالشعر .

نقرأ ما نقرأ من كتب ، ونسمع ما نسمع من اقوال ، ولكن ليس شيء مما نقرأ أو نسمع يحق أثراً قديماً من الشعر ، مما يصح منه ان نقول ان الشعر يحكمنا من حيث نندى وبلا ندرى .
من الشعر ما لو قرأه المحزون لحف حزنه ، او المتألم لحف ألمه ، او الجبان لشجع ، او الشحيح لبذل ، او المحجود لاستراح ، او المتشائم لتفائل ، او من استولى عليه الحزن في جسده ونفسه لتجدد شبابه ، او من كان على فراش الموت لاستقبله بآمان .

بل ان من الشعر ما لو قرأه الجائع لشبع ، او العطشان لروي ، او المريض لتأبى اليه صحته كما قال الشاعر :
ولا انشد الاشار الا تعاوباً

قد زى من سلوك الانسان ما نحر في تليله فاذا فقتنا وجدنا ان ذلك يرجع الى بيت من الشعر قرأه في صفة ثم نسيه وبقي اثره فيه لا نستطيع ان نعلم كيف يتأثر به ، ومن الخير ان نجعل كيف يتأثر بالشعر ، وان نجعل كيف تتأثر به ، فليس شيء الحمى الى الخطايا الشعر من ان يكون صناعة ، كما انه ليس شيء اسهل . فمن كان يكون التأثر به تصنعاً .

ومها يمكن الامر فان الشعر حاجة من حاجات الانسانية لا تستغني عنه في حال ، كان حاجة في بدايتها ، وهو حاجة في حضارتها ، هو حاجة اذا سدت ، وهو حاجة اذا شقيت ، وانه لمن حسن حظ الانسانية ان يكون فيها شعراء ، وان قلوا .

كيف نستطيع ان تستغني عن الشعراء ، وهم الذين يمزوننا في احزاننا ، ويهتزوننا في افراحنا ، كأن الناس اقاربهم وذو منابتهم لم يفتش احد عن الفضائل والاخلاق العالية كما فتن صفا الشعراء ، ولم يذبح احد كما اذاعها ، كأنهم في هذه الدنيا رسل حياة وعلاء اخلاق واساتذة تربية .

لم يمن احد بالانفعالات القوية عناية الشعراء . بها كأنهم مسن الناس قلوبهم الحساسة واصحابهم الموهبة وألستهم التامعة .

لم يبق احد على البطولة كما اتى عليها الشعراء فليس شيء اكبر اليهم من ان يكون الناس جناباً ، انذالاً .

لم يمن احد بالحكمة يتفحصها من الحياة لا من الكتب التزاعاً ، فيقرعنا في عبارة رشيقة مثينة موزونة مقفلة ليسهل حفظها والاستشهاد

بها كما فعل الشعراء كأنهم من الناس ادمغتهم المفكرة .

لم يمن احد بالجمال في السماء والارض ، في الانسان والحيوان والطير والزهو والظلال والحطوط والاشكال والالوان عنابية الشعراء . بها كأنهم من الناس ميونهم الروائية وكأنهم يضنون ان يتجلى هذا الجمال على قوالي الايام فلا يس قلب احد .

لم يستوح احد العقل والقلب والفرانز كما يستوحها الشعراء ، لا يكلفك الشعراء ان تلقي عقلك او قلبك ، ولا ان تكبت غرائزك ، لانك في نظر الشعراء عقل وقلب وغرائز ، ولذلك تراهم في كل وادي يسون .

يسبقون الحوادث فيشون اسبابها ، يسايرون فيفدونها ، يحيثون بعدها فيقرونها او ينتقدونها ، كأنهم مرة عصرهم نتجلى فيها الحقائق واضحة لا غبار عليها .

لم يمن احد بالقلعة عنابة الشعراء . بها يتشبهون الالفاظ تحيراً ، وقد يتعجبونها لارتجالها ، فما استملوه عاش ، وما اعملوه مات . فهم هم النضاض ، البقاء ، اللمعة لشهم والقول ما قالوا .

اذا عرفنا ذلك فلا عجب ان تغضرك امة بشعرائها وتستشهد باقوالهم كأنها آيات .

ولكن القرب يعرف الناس بقدر الشعر والشعراء .

ألم يكن العرب انجواق يتشادون فيها الاشعار ويتفاخرون ؟

ألم يكن الشعراء ، واكثرهم من أصل وغنيم : هذا اجير ، هذا

كأبي نوس ، وهذا يالتم جوار كأبي الناهية ، وهذا سقاء كأبي تمام ، وهذا دلال بطيخ كالرواء دمشقي ، وهذا دلال صكتب كالخرجي ، وهذا يراز كشباب الدين الاعزازي ، وهذا من اجلاف البادية او صعاليك العرب ، وهم كثرة ، ألم يكن هؤلاء الشعراء مشراء الملوك والامراء ، والكبراء ، يذاكوبهم ويشادونهم ويدخلون ويخرجون بلا كلفة كأنهم أكفاء ، بل ان منهم من صا به شعره فعاوله لكتاً كأمري ، القيس والمثنى وابن زيدون صاحب صاح في الناشقين يا لكتانة .

رثا في الجنون منه كنانة

ألم يكن الشعراء اساتذة الملوك والامراء ، يحذوهم بما فيهم ، او بما يجب ان يكون فيهم ، فكانت قصائد المدح دروساً في الفضائل والاخلاق والسياسة .

ألم يتنافس الناس الى ان يكادوا يتقاتلون اذا مر بهم شاعر في استراقه عليهم ، كأن قول الشاعر على احدهم شرف لا يساميه شرف .

ألم يكن البيت الواحد من الشعر يرفع قبيلة بعد خولها او

بعضها بعد غيرها .

ألم تدم الحرب اربعين سنة بين بكر وتقلب بسبب ابيات
اربعة او خمسة قالها البسوس . فسميت هذه الابيات المرتبات .
ألم يمتن عضد الدولة حين سمع قصيدة ابي الحسن الانباري
التي مطلعها :

طرد في الحسبة وفي المات لمسك تلك احدى المعجزات

في رثاء الوزير طاهر بن بقية الذي ظفر به عضد الدولة فقتله
ارجل الفيلة ثم صلبه . ألم يمتن ان يكون هو المصاب وان تكون
تلك القصيدة فيه .

ألم يكن من مادة العرب اذا نبغ بينهم شاعر في هيلة آتت
القبائل الاخرى فينتابها به ، وصنعت الاطعمة ، واجتمعت النساء
يلدن بالزاهر كما يصنعن في الاعراس .

أين ترى مثل هذا ؟

بل انت اذا فقت وجدت ان العرب عيدا الشعر او كادوا ،
وأكد هذه العبادة شائعة في تلويغ العرب قبل الاسلام وبمده .
واليك البيان .

ألم يلق العرب في استار الكعبة ايام غزائل آتتهم قصائد
عشرة مكتوبة بام الذهب كأنهم كانوا يعدون الفصاحة في ما
كانوا يعدون .

ألم يبلغ بهم الامر اذا سمروا الشعر الجيد ان تأخذهم النشوة ،
فيسجدوا له تلك السجدة المخصوصة بالشعر .

الا يشهدون الشعر انشاداً ويرتلونه ترتيلاً كما تقرأ الكتب
المترلة اجلالاً له من ان يقرأ كما يقرأ النثر من كلام الناس .
ألا يقولون اذا اعجبوا بفصاحة شاعر :

هذا شاعر ملهم ، بكر عطار^(١) قد ازلت الفصاحة على لسانه
كان الشعر وحياً وكان الشعراء انبياء او ابتكار الالمة .

الا يقولون اذا وصفوا الشعر الجيد : هذا شعر رقيق ، غلب ،
سائغ ، شائق ، لطيف ، مأفوس ، رخيم ، شيق ، سلس الى غير
ذلك من الصفات الجميلة كأنها اسماء الشعر الحسن .

اما بعد الاسلام فقد بلغ شرف العرب بالشعر انهم نقشوه على
جدران منازلهم واندبيتهم ، وعلى حجارة خواتمهم ، وكتبوه في صدور
محاسنهم ، وعلى القباب والابواب ، وطرزوه على الستائر والظانفس
والكلل والاسرة والوسائد والمرافق والمقاعد ، وعلى القناديل
والاقداح والكاسات والحاجات وسائر آنية الفضة والذهب والفضة ،

(١) وهو اله الفصاحة عند اليونان .

ونقشوه على الميدان والمضارب والعلبول والمعازف ، وزينوا به الثياب
فطرزوه على ذيول الاقصة والاعلام الاردية والاكليم ، وعلى الصائب
والزناجير والمناديل والمذاب والمرايح حتى للعالمو الخفاف ، وزينوا به
مظاهر ابدانهم فكتبوه بالحنا على الجبن والخذ والاقدام والراح ،
ونقشوا به التنازع والازج وغيرها ، فكيف التفت رأيت الشعر
منقوشاً او مطرزاً او مكتوباً او منسوجاً ؟ كما قال جرهمي زيدان
اذا لم يكن ذلك كله عبادة ، فاذاً يكون ؟

ولعل اللغة العربية من اطرع اللغات للشعر ، ففيسا الجزالة
وارقة ، والتقديم والتأخير ، والحذف والاثبات ، والترادف والاعراب
والثنوين وغير ذلك مما لا تحصى فيه لغة من لغات الدنيا .

الا اذا كان الشعر ذا جلاله فند العرب ، واذا كانت لغة
شعرية فاللغة العربية .

على ان خروج فقيدنا ابرهم طوقان من المدرسة وقد استوفى
ثقافته قرأت له شيئاً من شعره ، فأعجبني كثيراً . وحث بشرا الامال
ان سيكون لنا منه شاعر كبير ، وتقاضي الواجب ان افد من
فودي على والده اهنته ، وما كان احق الوالد ان يبدأ ، وما كان
احق الولد ان يخفى به ، فتأني الوفود ، وتصنع الاطعمة وتجتمع
المستمعين يلحنون بالزاهر كما يصنعن في الاعراس ، فانبغ شاعر لاسيا
في هيلة الايام بالشيء القليل . والشاعر الثابتة ليس ذخر امله ،
ولكنه ذخر الناس اجمعين ، وليس هو ذخر جيله ، ولكنه ذخر جيله
وذخر الاجيال التي تليه ، ولكن واسقاه لقد تحول العرس مقاماً .
لا احاول ان اتكلم عن شعر فقيدنا العزيز من كل نواحيه .
ولكنني ساقصم على بعض هذه النواحي .

١ - من عادة الشعراء المألوفة ان يقلد الشاعر منهم في اول
امره غيره ، ثم يستقل بطريقته ، فهذا المتنبي قلد في اول امره ابا تمام ،
وهذا عروبن ابي ربيعة قلد في اول امره جيلاد ، واما شاعرنا فانك
اذا نظرت في شعره من اوله الى اخره فانك لا تجد فيه اثر التقليد ،
بدليل ان شعره كله من طراز واحد .

٢ - من عادة الشعراء المألوفة ان يعنى الشاعر منهم في اول
امره باللفظ اكثر من معانيه بالمعنى ، واكثر ما يكون ذلك اذا
كان المعنى مبتذلاً او مسبوفاً اليه . فيفرغه في قالب غريب ليخفي
ابتذاله او ليخفي اصله ، واما شاعرنا فان الالفاظ انما ظاهراً والمعاني
معانيه ، وهذه على قدر تلك لا تزيد ولا تنقص .

٣ - من عادة الشعراء المألوفة ان تكون الملكية ضعيفة في
اول امرها ثم تقوى مع الزوال المستمرة بحيث تستطيع اذا قرأت

المرج وآثره في النفس

بضم الهمزة فتلك طريفة



قد يعتبر تطفلاً مني ان اتحدث
عن المرج، في حين ان المرج في غنى
عن كل شرح وحديث، اذ هزل
بإستطاعة المرء بها التسع خياله، ودقت
شاعريته ان يتناول بالوصف من مختلف
الاحساسات التي تتنازعها ويفضل بها،

الا ما يخلف فيه هذا الانفعال من آثار وعوارض؟ ولكن يظهر ان
الانسان مطبوع على التحدث، بل على الاكثار من الحديث عن كل ما
هو محروم منه، فالجائهم مثلاً لا يطيب له حديث مثل حديث الطعام
والحرور من نسمة من النعم لا يجد راحته الا في التحدث عنها حتى يظفر
بها، وكذلك من يروج نهاية من الحياة لا يفر من نشدائها بمختلف
الاساليب، فاذا بلغها انصرف بكلية الى الناحية العملية منها :

فالمرا - اذن يتحدث عن الشيء
بمعينه عندما تكون رغبة هذا الشيء
فيه سلبية لا يقابلها بالايجاب، في حين
ان حديثه يتناول في حالة الايجاب،
ما يلحس من آثار هذا الشيء فيه،
وما يبتين من نتائجه .

فلا حرج علي اذن ان تحدثت أليقة عن المرج، ولا يعتبر تطفلاً
سبياً ان تناولت موضوعه بالبحث وبعض التحليل، ما دمت اتحدث
من شيء. حظرت علينا نعمته . وهل كان لي ان احاضر في المرج
لو كنت انتم في ظله بجية تأخذ مجراها الطبيعي في النفس دون ان
تعترض سيلها عقبات، هي لارحية سلاح وذريعة ؟

ولكنني في دمشق . . . ودمشق كما يعلم ويشعر اصحابها

وغير حادي للمراي ردية
تركنا لمارا فلما كل شجرة
وغير بني للزجاج رقاب
فليس لنا الا جن لماب

وقال أن نجد شاعراً في هذا الدور جمع في نفسه بين رقة القول
وقسوة القلب بين حليان والتمني

ومن وفق على شرفقيدنا العزيز وجد أنه كان من الشعراء
القبليين الذين جمعوا في انفسهم بين الاثنين، فهو يمثل سايان في رواية
الحب كوهو يمثل المتنبي في رواية البطولة
الدور الثاني : دور العقل

في هذا الدور وهو آخر أدوار الشعر ينزل القلب من عرشه،
ويسلم صولجان الملك الى العقل اما شعراء الحب فيكسرون آلة
لهوم وطربهم، ويوبقون ببقية خرمهم، ويدلون من طرق الملاح
شباكهم بوما شعراء القوة فيخرجون من المعمة شتاً غبار يلقون
سلاحهم، وينقلب هؤلاء. وهؤلاء حكباء.

ولكن ابراهيم طوقان دخل من هذه الدنيا في مقبيل العمر،
في سن أبي فراس الحمداني، وسن ابن هاني، الاندلسي قبل أن يدرك
الدور الاخير من أدوار الشعراء . وان لم يمتعه في آخر حياته أن يرى
من الدنيا ما تشتهر منه النفوس ترى لو فسخ له في الاجل فاذا كان يقول؟
اما وقد مثل صاحبيه سليمان، والتمني في دور القلب، فلو فسخ له في
الاجل قتال مع المتنبي :

وما الدهر امل ان تحول منه حياة وأن يشتاق فيه الى النسل

الفرس

فليل السليبي

لاحدهم شيئاً ان تقول : هذا قاله في صباه، وهذا قاله بعد نضجه
واما شاعرنا فان ملكته الشعرية هي في كل شعره، اذا سمعت
قصائده الاولى فلا تظنها الا اشعار زاول قوض الشعر من عهد ميليم
١ - للشعراء تجوزات خرجوا بها عن السبل المألوف حتى قيل
يجوز للشاعر ما لا يجوز للناثر، كان للشعر لغة قائمة بنفسها، ولغز
لغة اخرى . من هذه التجوزات انهم يقدمون حيث يجب التأخير
او يؤخرون حيث يجب التقديم، ومنها انهم يستعملون الرقيق حيث
يجب الجزالة، او الجزل حيث تجب الرقة، ومنها انهم يضطرون الى
استعمال المجهول او التعليل الاستعمال من الاقفاط والتراكيب، ومن
نظر في شعر فقيدنا العزيز رأى انه حسن الرصف شديد المسلك في
غير كلفة بما يدل على فطرة شافقة وذوق سليم، وهذا لا يوفق اليه
الشعراء الا بعد ان تستحكم ملكتهم . وقد لا يوفقون .

٥ - للشعراء أدوار لا بد أن يرواها، أهمها دوران :

الاول : دور القلب . وشعراء هذا الدور اما شعراء حب،
فيصلون من حياتهم روايات غرامية هم أبطالها، يشجون ويتغنون
ويطوفون بأكتاف السحاب الفخم، واما هذا النوع من الشعراء هو
سليمان الملك صاحب نشيد الانشاد وهو في ميعه شبابه، واما شعراء
قوة فيجلبون من حياتهم روايات بطولية لا تجد فيها الا المغامرات اثر
المغامرات واما هذا النوع من الشعراء هو المتنبي القائل :

حديث النبي في نادي الضباط السوري دمشق

ان النلية ستكون بجانب هذه الطبيعة .

ان اهل الكهف ما كادوا يخرجون من موتهم الى دنيا الناس حتى لمسوا الفارق الوحي الذي يفصلهم عنهم ، وادركوا ان هؤلاء الناس قد وعوا سن الحياة فلم يخافوها ، بل خضعوا لقوانينها وعاشوا الحياة التي يلزم ان يبشها كل ذي عقل وادراك سلم ، فسادوا الى كهوفهم لان سنة الحياة التي خافوها تقتضي اليقظة والوعي والتجند ، ولان الطبيعة تنبذ من يبتذها وتعلم حتى من يحاول مجادبتها ، ولان كل وضع يخالف سنة البشرية ، ينجم عنه اختلال في التوازن الاجتماعي ، وضخمة تصيب الصمم من جهاز الامة .

واذا نحن استعرضنا شئ الصور التي برزت من خلالها الوان المجتمعات في مختلف العصور ، نجد ان كلاً من هذه المجتمعات قد تفتت في ابداع اساليب المرح وخلق له اسباباً لتلازم ولون البيئة التي اتبث منها هذا المجتمع ، وطابع العصر الذي كان من شهوره .

وقد تناولت كافة الفنون بالوصف والتصوير هذه الناحية من حياة المجتمعات ، فأرثنا الكثير من الوانها كما كشفت لنسا عن الاساليب المتكررة او التقليدية التي كانت تجري عليها في ناحية المرح من حياتها ، كما ان كثيرين من الكتاب اتخذوا من المرح اسلوباً يجرؤون عليه في كتاباتهم وتأليفهم ، ففقدوا منه الى السفيرة اللاذلة التي استلبوا بها على كشف ما يضاهيهم من لواذع الآراء والفكر وكما نتناول بال نقد المرح الخفي الاصطلاحات التي ترواها الناس على اعتبارها القاعدة التي يجب ان تبني على اساسها حياتهم وصلات بعضهم ببعض ، كما تصدوا ايضاً بهذه السفيرة الى الموازين الشاذة التي اتخذها هؤلاء الناس مقاييس للاشياء ، مع ان مطلبها يتنافى مع الحقيقة والواقع .

ومن ينسى « بخله » الجاحظ ، هذه الراهمة الفنية التي كشفت عن كل خفية من خفايا النفوس المطبوعة على البخل ، كما صورت فصولها مختلف الطرق والحيل التي يبتدعها طبع البخل وينتفع لها ؟ ومسرحيات موليير ؟ او لم يبتدعها هذا البقري كل صورة . وما خفيت معالمها ودفنت ، من صور المجتمع الذي عاش فيه كما ابرز بتهكم صريح يخفي وراءه السا ومراراً ، تلك القند النفسية والاجتماعية التي كانت تتبر من اساليب الحياة المستعجة في عصر الملك لويس الرابع عشر ؟

والامثلة لا تنتهي اذا شئت ان اوردتها لكم بأجمعها ، غير انها جماً تدل على ان المرح خاصة طبيعية من ادق خصائص الانسان ،

القول والنفوس من اربانها ، محروسة من هذا العنصر الرئيسي من عناصر الحياة الذي يدعى مرحاً ، فاحكموا بالله : او ليس مستغرباً ان تكون دمشق المدينة الشريفة ذات الطبيعة الفناء والحي البسام الضاحك ، دمشق التي تطفح بالبهجة والحياة ، وتفيض بالرونق والهاء ، ابد ما تكون عن المرح ، لان التناقض القائم بين طبيعتها وشبهها قد فرق بينهما وفصل بعضهما عن بعض ؟

وان اتفق وانتشر فيها لون من الوان المرح ، فهو لا يلبث حتى يتلاشى اذ يقوم ابداءً لحاربه فوريق من اهل العروس ، اولئك الذين يابون الا تشويه وجه الحياة بتعطيلهم ، ويؤثرون ركود الموت على نشاط الحياة ، يقوم هذا الفريق من الناس ، متذرعاً بالحجة التقليدية البالية حجة صيانة الاخلاق من الفساد والتدهور ، ويدعون بتعطيلهم هذا اللون ، حماية للشبيبة من شره ، ولا يخافون عليها ان تصيبها ظلمة الكمد التي ينون دغها اليها .

وقد يكون من عجائب الامور ان يتبر هذا الفريق من الدشيقين ، وذلك لثابة معينة في نفسه ، ذلك الطراز الخلف القيم من الحياة مثلاً اعلى للحياة الطيبة الصالحة ، فيشتد منه مذهباً ، ولكن المعبج العجائب ان الآخرين الذين يخافون وجهه المنظر الشاذة هذه ، وهم يؤثرون اكثريه ، يراعون مع ذلك تعاليم المبدأ التي بنيت عليها وجهة النظر هذه ، ويتحدثون بصراحة رجيبة هذا النحر من حياة العروس مع انهم يدركون ان هذا اللون القائم من الحياة لا يكون خطراً على حياة الفرد فحسب ، حيث يهدده بالانكسار ، ويقرده نحو الغرلة النفسية ، انما هو يكون خطراً ابدى ملى ولوسع نطاقاً : لانه يبلغ الصمم من حياة الامة ، ويهددها في كل آن بأسوأ مصير : ان حرمان الفرد والامة من المرح الصحيح - وانتم تدركون بلا ريب ماذا اعني بالمرح الصحيح - حرمان لها ايضاً من العمل المثمر والجد الصحيح . وان شئنا اخضاع هذه الناحية المعادة من حياة الفرد والجماعة الى التحليل العلمي ، نجد ان هذا النمط من الحياة يخالف لوانيس الطبيعة ، لا يتفق طلياً مع سننها وقواعدها ، فما هي ياترى النتائج التي يجتدل نحوها ان وقع اختلاف ما بين الرضم القائم وبين ما فطرت عليه الطبيعة البشرية من ميل ؟ بل اية نهاية هي نهاية الوضع الاجتماعي الذي ياتي الاعتراف بنوايس هذه الطبيعة ، ويذهب مذهب شئ في قها واتحاد حيويتهما ؟ لا ريب ان اهم النتائج التي ستنبم عن هذا الرضم ستكون نزاعاً لا بل صراعاً عنيفاً ما بين هذا الوضع وبين الطبيعة البشرية ولا ريب

الاستسلام الى مقدرات الاحداث، وتجل منها نفوساً إيجابية تلي مختلف دواعي الحياة وتقاوم قوى الشر والظلم فيها، كما تمنحها القدرة على احتلال المصائب والغلب عليها .

والفنون ؟ هل غروب عن باننا ان لاهية لها في ظل الضنط ، وانها تختفي في وسط نأت عنه معالم الحياة ؟ وان شتى الامكانيات الكامنة في غياهب النفوس قد تنطلق من معالها وتؤدي مجير كثير، ان مهدت لكل انسان سبل الجهد والروح ، لكن تقسح المجال لكفائه الموهوبة ان تظهر . على ان هذه الامنية لن تتحقق الا في ظل الديمقراطية الصحية التي لا تجعل فضل انسان على انسان الا بالكفاءة ، ولا تضيق على الشعب ، بل تحترم حق كل فرد من افرادها بالحياة، دون تفريق بين الجنس والمذهب ، وتوفر له وسائل العلم والثقافة ، ليأخذ منها بقسط وافر في جو من الحرية والروح يوقظ فيه الوعي الصحيح ، كما ينضج بمشواء الفكري والاجتماعي الى المرتبة التي تجعله من مستحقي الحياة .

وأنا واثقة من ان قادة جيشنا سيظلون بهذه المهمة الحظرة مهمة تأمين هذه الحياة التي تحدثت عنها الى الشعب السوري ، كما ان كرامة بانهم سيحاربون الى هذا الشعب الذي انتخبوا منه رسالة الجبل والريح كما يحبون ان تكون رسالات الحياة .

او ليس الجيش ، من الشعب والى الشعب ؟ او ايس الدفاع عن حقوقه والسر على مصالحه والنود عنها ازاء كل عدوان تدهمها به المظالم الاستعمارية ، من المهات الرئيسية المقاعة على عاتقه ؟ واخيش مفروض فيه ادراك المرح على حقيقته واساغته ، مناه ، لان مهمته جدية الى ابد حدود الجهد . فليجد اذن ، استطاع فبعده فحانة لا من الشعب وسلامه . وليس ما شاء فرحه كليل بصيانة حقوق الشعب ومصالحه سواء كانت هذه الحقوق لتتناول ناعية الجبل . من الحياة ام ناعية المرح .

فيا ايها الضباط ، ويا اولياء الامور ، ويا ايها الشباب المختلف :

اذا شئت ان تكونون شعباً يبرعن بوعي وادراكه الصحيح على صلاحيته للامية ، فافتحوا ابواب هذه الحياة على مصارعها لينفذها النور الذي يبدد عن النفوس الشرايب ، وينفضها من الخمول ، ويظهرها من الادرن ، لانه يجنى عليها ان سدت من دونها منافذ النور ، ان ينشأها الظلام فتختفي في دياجيرها .

فلك طرزي

دوس

وصفة من أبرز صفات النفس الانسانية ، تجعل النفس على كبت هذه التزعة ، وهي بحاجة قصوى الى ان تجتلي فيها ، ثم الحيلة بين الانسان وبين التمتع بكل ما قد تمدد عليه من نعم الحياة البرينة ، قد يسبب لهذه النفس انقياداً ينطلق معه كدس الحوامان فيها من شطائها ورحم .

فنبه الماء التي سدت من دونها منافذ النور والهواء ، فعالت دون تفتحها من . نهبها ، لتشق لنفسها مجاري وسواقي طبيعية في اخاديد الجبال ومزالق الاودية ، ان هذه النبعة لا تلبث تحت التراب ان تنقضي وتنفذ حتى يزيح غطيل الكنايس الذي كان يحول دون اندفاعها وتدفقها .

ان مقدار نصيب الامة من المرح ، هو من ادق مقاييس فهمها الحياة ، ومن ادمع الباهين التي تشير الى مبلغ اهتمامها بمجديلات الامور . اذ ان حياة الامة والافراد تبني اساسها على قاعدة الجهد والمرح : فبالجهد الصحيح يصل الانسان وينتشي . ويؤسس لنفسه بلوطته ويحتمسها بالمرح يستعين على الجبل يسبل عليه المهات ، ويعد السبل ويبدد العثرات . فلا يكون الجهد الصحيح الا حيث يكون المرح الصحيح الذي يجتري اعماق النفس فيجلو عن ادق شاعرها ، ويصل اسبابها بأسباب الحياة ليجمعها جزءاً منها ، ولا تكون حياة صحيحة الا حين يتوفر لامة نصيب كبير من ذلك الجهد وهذا المرح .

اجل ان الحياة الصحية لا تنسجم آفاقها ، ويمتد مداها وتصلطح بالمرح الانساني بقدر ما تبرز خصائص الامة التي تصدق عليها من قبض نصيبها ، ان هذه الحياة لن تتوفر في هذه الامة ، ما لم يتوفر فيها المرح ، بل ما لم ينبعث هذا المرح هدباً صافياً من نفوس خلعت من الشوائب وصفت من الاحقاد والضغائن .

ان يتهوئ العظمى نبي المحبة والسلام ، قد نشد من الحياة هذه الناعية المثلى ، وجعل منها المحور الذي دارت حوله موضوعات روايته الخالدة . او ليس هو الذي ارسل هذه الصيحة حين قال : « اريد ان اجعل من آلامي وجراحاتي افراحاً ، اريد ان ابني منها سلماً قلتي مدقته الانسانية جماء ، وقد نبئت احقادها ونسيت ضغائنها واجتمعت على المحبة والسلام » .

اما يتهوئ فقد استطاع ان يتفرج الفرح من الامة وجراحاته ، كما استطاع ان يذهل النفوس ويسكرها ، واما الانسانية فانها ما زالت في اسفل القاع ، تتنازع وتكلم .

ان الحياة التي يشيها المرح في النفوس ، هي حياة فياضة بالصفا . والحب والتسامح ، حياة قوية تبعدها عن الخمول ، وتجيبها خطر

كبراً ما تعد الفلسفة البناء الادبي وان خيل انها بسيطة عنه ، ولكن الصلة بينها قد تبدو واضحة بارزة حتى لنفسها وقد استغنى حتى لتتكرر مكانها من الادب . وهذه الصلة اذا تقوى وتضف بحكم الموضوع الذي من شأنه ان يتجلى او يخلق الروح الادبية والفلسفية في تكوينه .

والجمال موضوع تدخل الفلسفة والادب في ابرازه ، بيد ان الفلسفة تحمد لتضمه في حيز المعرفة المبينة على حدود وقواعد . ومن الحير ان نتحدث عنه في الفلسفة قليلاً ، لننتقل فتحدث عنه في الادب ايضاً ، بين يدي التحليل الاستنتاجي الذي يزيد الحسروج منه برأي ، في ايها اقوى لمساً للجمال الفلسفة ام الادب ؟ . وايها اشد تأكيداً وتبيناً له ؟ . وهل يتصلان بأصرة الموضوع دون ان يبعد الادب او الفيلسوف الى ذلك ؟ هذا ما سنتعمق اليه ، وهذا ما نود التحدث به الآن .

ان الوسيلة لتدرك الجمال في الفلسفة هي الحساسية ، وهذه الحساسية توجد في الانسان لئلا قد تكون عميقة او غير عميقة تبعاً لتأثير صورة الجمال في الوجدان .

والحساسية عند الانسان لا تقف في ثقلها للجمال متعند خاص ، بل انها تزدد وتختلف .

لان الجمال يقوم على التنوع مع

الدقة والروعة والتناسب ، وليست للجمال صورة مادية نفسها وتقبلها كشيء حقيقي محدود ، بل هو يسمو بالحساسية مجتجاً بها في مذاهب من اجزاء الخيال . والجمال للذة وهذه الذة كما قلنا تختلف قوة وروعة في الوجدان ، ولقد تكون الذة « ولة » اي ليست خيرة » ومع هذا فهي مبث لماطلة الجمال « ومن هنا يبرز المبدأ الفلسفي القائل « الخير غير الجمال » .

قلنا ان عاطفة الجمال للذة وهذه الذة قد تتشكل في الوجدان عند انسان ، بغير ما تتشكل به عند انسان آخر ، ولكنها تتحد كلها في انها مبث للجمال .

وهذه الذة ايضاً قد تسري في وجدان انسان ما ولا تسري في وجدان آخر ، فلما حين تصور الشفق وجماله والروعة الدائبة فيه ، تثار حواسي بهذا المنظر وتتمرد في نفسي للذة هي ما تمنيا بكلمة الجمال . ثم قد يمر بهذا المنظر انسان آخر ولا يستشعر شعوري به . واللة في هذا ، اني

اقبلت على هذه الصورة بوجدان هادي ، فسرت الي عاطفة الجملة مع هذا الهدوء .

فان من المبدي ، الفلسفة ان الهدوء احد الشروط المؤدية الى الذة ، اما الاضطراب فليس من شأنه ان يكون وسيلة للذة ابتداء . وهذا لا يمنع انه قد يقبب استشعارنا بهذه الذة اضطراب احساسي ، وانما يعني ان تأثرنا اولاً بعاطفة الجمال لم يكن في حالة اضطراب .

فالذي لا يتأثر بالصورة قد يكون مضطرباً او منصرف الذهن الى شيء . يقضى عنه انيجاد الذة للجمال الكائن فيها ، با ولد عنده الاضطراب من جود في الوجدان . فالجمال لا تكتمل صورته لدى الانسان ، الا اذا كان الذهن خالياً كي يتشبع بحسناه .

هذه بعض من عناصر الجمال وصفاته الفلسفية مسرودة في صورة بسيطة ، وللجمال في الفلسفة انواع وهي :

١- الجمال الادبي كالتصاوير الذاتية مثلاً ، وهو يشمل شكل الافعال الانسانية .
ب- الجمال المطلق (غير المحدود) وهو مقدس وادرع انواع الجمال .

ج- الجمال الطبيعي صكروعة النسق او الفجر اي جمال الطبيعة الصامتة .
د- الجمال الخيالي وهو ما يحصيه الادراك ويكونه الذهن كالاتسكار والاختراع مثلاً .

١- الفنون الجميلة كالنحت والموسيقى والرقص الايقاعي والشعر ، فهي صور « نومية » من الجمال . فالوسيقى وهي - يرق الجمال - تذيب في انماها العواطف لتعبرها للذة في الوجدان بتأثير جامها . وكذلك الرقص الايقاعي - وهو تمثيل الجمال - يجيل في حر كانه للذة تلبث .

فهذا الجمال كما تصوره الفلسفة زى فيه دون ريب لونا ادبياً ، يجلنا نطق كثيراً الى ان تصوير الجمال الادبي يتصل في اخراجه للمنى الفلسفي في قصد وغير قصد .

والجمال في الادب - فلسفياً - جزء من فلسفة الجمال ، وان استنكر شأنه الادباء الذين يرون الجمال في الادب اعرق وادرع واوسم صدق ، منه في الفلسفة ، بل انه يتناول

ثقافة البحر المتوسط

علم عبد اللطيف شراره



النصف الاول من القرن العشرين ينظرون الى البحر المتوسط كوحدة جغرافية مستقلة حتى اذا استقامت لهم هذه النظرة ونهضت لهم ادلتها في وقائع التاريخ ومجى الحوادث رجعوا الى نفس تلك « الوحدة » في شؤون الثقافة وطرائق التفكير ومعالم المدنية ، فلم يمدوا من الوقائع والآثار والحوادث ، ما يؤيد ظنونهم - وفي التاريخ متسع لكل ظن - ويشد ازر تفكيرهم . وهكذا ... نشأت فكرة « الثقافة المتوسطية » .

وكان مما ساعد على نشوئها وظهورها بالمظهر « المقبول » البحت ربهان ولين القرطبيين الآذنين بوطا الثقافة والفكرة القومية الخرافية اي بالارض ، وبالتالي ، بما تسميه « الوطن » فإذا اعتبرناه نظرياً ، ان حوض البحر المتوسط في نصف دائرته الاول الذي يشمل جنوب اوربا كله ، ونصف الدائرة الثاني الذي يشمل غرب

يبيدي الآن كتاب « البحر المتوسط » للكاتب الالاني الشهير « اميل لدفيج » يدرس فيه تاريخ هذا البحر ، ويبحث المدنيات التي قامت في مختلف شواطئه ، ويقارن بينها وبين غيرها من المدنيات التي نشأت في البقاع الاخرى من اديم الارض ، محاولاً ان يوضح ما يراه في امر ذلك البحر ومصره .

والبحر المتوسط - كما يتضح من دراسة لدفيج - مميزة جغرافية ، حين نقبله بنهره من بحار الارض ، فهو فريد في مباحه ، فريد في شطآنه ، فريد في صغره وعظم شأنه ، ولذلك جاء عبقرياً في تاريخه ، سيداً فيا انشأ وبني من حضارات ، فاداسترى انتباه المؤرخين والباحثين في الشؤون الانسانية ، ولانه تفوت في ذات الفضائل جللته الينبوع الذي تفجرت منه الفنون والمدنيات ...

ازا هذه الفضائل المتغيرة البارزة ، وقف بعض المفكرين في

فلسفة الجمال في موضوعه .

وهو من الجمال الحيالي فلسفياً . وعلى كل فالجمال في الادب عاطفة وروح واحساس وروعة ، فقد يكون الاخلاص صورة جميلة عند الاديب ، كما قد تكون حياة المحبنة عند انسان ما ، لو أن من الزان الجمال ما دامت اللذة تتبع منها ، فكل ما يترب الى النفس لذة فهو جمال .

ان امم ما يمتاز به الجمال في الادب انه يأتي بعد حبنا لشيء ما ، وهذا الحب يحلنا نصوده تصويراً رائعاً . فالأم فترت مثلاً جميلة ، لان جمالها اكتسب من الفيض اللطيف الذي تجاربت اصدائه في جو « جوته » السنوي ، فنبعت نفسه التأثرة باللذة ، بهذا الجمال الذي قد تنطفيء شعلته في قلم آخر .

نعم ان الادب في شكله وصورته شيء مستقل عن الفلسفة ، بيد انه متصل الموضوع بها ، فاحدى صور الادب كالجمل غير متصلة ظاهرياً بالفلسفة ومتصلة بها موضوعاً . فإلا انكار الذات او الايثار - الذي هو اقوى معاني انكار الذات - والوفاء عند اصحاب الفلسفة الواقعية صور ادبية جميلة ، وهي في موضوعها - فلسفياً - الزان من الجمال الادبي .

واكثر ما يبنى الجمال في الادب على العاطفة كالشعر التزلي ،

اسيا (تركيا وسوريا وفلسطين) وشمال افريقيا - اذا اعتبرنا هذه الاقاليم التي تتصل كلها بالبحر المتوسط «وطناً» واحداً ، كان حتماً عليها ان تكون ذات ثقافة واحدة !!

وجاء الموقف السياسي يدعم الناحية النظرية من هذا الموضوع فمن فرنسا ، وهي الدولة الاستبراة ذات المصالح الكبرى في حوض المتوسط اعتنقت تلك الفكرة حين وجدت فيها ما يخدم سياستها ويعزز كيانها المادي والادبي ، فأقطار المغرب العربية (تونس ، الجزائر ، مراكش) واقعة كفرنسا على شاطئها المتوسطي . المتوسط في جانب ، خاصة للسلطة الافرنسية في الجانب الآخر ، ففرنسا حينئذ ، ان تنزع عن هذه الاقطار سميتها العربية وتبدد عناصر ثقافتها الخاصة ، وترسي بيسا في احضان الثقافة المتوسطية الموحدة اي الفرنسية بشعب آخر .

والى جانب الموقف السياسي نجد موقفاً روحياً يأتى في دقته ، وهو الاتجاه الديني والمذهبي على الوجه الاصح ، فان الدوا ، الكاثوليكية والكبرى : فرنسا واطاليا واسبانيا تحمل من حوض المتوسط جزءاً هاماً قد يكون من الوجهة السياسية اهم اجزائه ، فالمذهب الديني هنا يدعم الجغرافية ويؤيد ما فيا تروحي به من افكاره ، وكما جمع المتوسط هذه الاقطار مائتاً وجغرافياً ، فسوى يجمعها ايضاً ويؤلف بينها روحياً .

وليس المناخ والمذهب وحدهما يعثان على تأييد وحدة المتوسط ، فحسب ، وانما يضاف اليها العامل الثقافي ايضاً ، ذلك ان فرنسا واطاليا واسبانيا تستقي جميعها من معين واحد ، وتصدر من اساس فكري واحد هو « الثقافة اللاتينية » .

نستطيع اذن ان نلخص العناصر التي تعاونت على نشوء فكرة « ثقافة البحر المتوسط » واظهارها ، كما يلي : ١ - ربط الثقافة بالمناخ ٢ - وحدة المتوسط الجغرافية ٣ - وقف فرنسا السياسي ٤ - التشككة ٥ - الثقافة اللاتينية .

والفكرة في جلتها ، مبدأ وغاية ، تصون ، هلمة فرنسا كاهباطورية ، وتدعم التشككة كذهب ديني ، وتزيد في غنى اللاتين كاصحاب ثقافة . فما هو نصيبنا من الصلة العلمية ؟ ؟

- ١ -

اما ان حوض البحر المتوسط وحدة جغرافية فهذا ما لا يصح في ميزان من المراتين ، ولا يبنى على قاعدة من القواعد ، لانتنا نضطر عند الاخذ بهذه الوحدة او الاصطلاح عليها ، الى تفكيك سائر

الوحدات الجغرافية المعترف بها - علمياً لا سياسياً - فيصح شبه جزيرة ايبيريا اسبانيا والبرتغال ، تنصباً بين المتوسط والاطلانتيك ، وما هو في الحقيقة ينقسم ، وتصبح اسبانيا الشرقية رغم أنها اوثق صلة بسوريا من صلتها بجندودها الغربية التي تلتصق بها بضعة عشر كيلومترات ، تنعطف بالقطار او بالسيارة . وما يقال في سوريا واسبانيا يقال ايضاً في فرنسا والجزائر ، وفي ايطاليا وارابلس العرب ، وفي مصر واليونان ...

على اننا اذا زعمنا من البحر صفته القديمة كعزل طبيعي بين قطرين او بدتين ، جاز لنا من طريق اولي واضح ان نقرع هذه الصفة عن الجبال والانهار ، وبذلك نتداخل اوطان الامم فيا بينها تدخلاً لا سبيل معه الى التفرقة بين امة وامة ، وبالتالي بين ثقافة وثقافة . ثم يصح في الامسكان ، واقرّب الى المنطق اعتبار كل قارة على حدة ووحدة جغرافية مستقلة ، ويبقى البحر المتوسط موضعه لا يمكنه تأليف وحدة ابدأ ... الا من مياحه وامسكاه !

ينعود الى المناخ ، وهو «الوحدة الحقيقية بين الاقطار الواقعة على ساحل المتوسط ، فنجد ان تأثيره ضئيل كل الضالة في حياة الفكر الانساني بحيث لا يصح اعتباره المواء العادل الرئيسي في تكرير ثقافة ما وتوجيهها . وقد اثبت علم الانساق بصورة قاطعة ان تأثير البيئة الطبيعية في قسيت الانسان ولونه وميزاته الجسمية والنفسية ما هو الا حديث خرافة ، واقسام البرهان على ان الخلية الجرثومية هي التي تنطوي على الخصائص المميزة للاجناس البشرية ، فسواد الزوج ، ثلاثة اصيلة تلازم الجرثومة ، وما هو مرض طاري . من امراض المناخ الصحراوي وهجرة الصحراء (١) . واذا كانت هذ هي ضالة تأثير المناخ في حياة البدن ، فلن يكون هذا التأثير في النفس ابسغم وقوى ، وان اساء الى النشاط في اغلب الحالات او احسن اليه في بعضها .

يضاف الى ذلك ان مناخ المتوسط يختلف بين قطر وقطر كما هو معروف لدى طلاب المدرسة الابتدائية ، فمناخ فرنسا غير مناخ اسبانيا ، ومناخ الساحل الافريقي غير مناخ الساحل السوري ، فخر خاضع اقرب البلاد وبعدها من خط الاستواء ، متباين بقبان العواض الجيولوجية من جبال ووديان وغابات في كل بلد . وبكون قسماً لذلك ، مزاج ابن مرسيليا غير مزاج ابن الاسكندرية ، ومزاج

ابن جنزى غير مزاج ابن حقا ، وهكذا دواليك . . .

وإذا كانت الخطوط الرئيسية تتشابه في أغلب هذه المناطق من حيث الصحرا والامطار والرياح ونحو النباتات والمواشي ، فإن ثمة فروقا في التفاصيل تستلزم فروقا كبرى في ما لها من رد فعل في الحياة الانسانية وطراز المعيشة وطرائق العمل والتفكير .

وكيف دار الامر ، لا يصح القول بوحدة جغرافية لحوض البحر المتوسط .

- ٢ -

غير ان الامر يبرز ويتضح حين نواجه البحر المتوسط من زاوية تاريخية ، ونأمل الموجات البشرية التي تدفقت على شواطئه ، وإذا ذلك نجد ان سكان هذه الشواطئ تنقسم الى فئتين متميزتين : العناصر الشرقية الجنوبية ، والعناصر الشمالية ، ونجد ان الاولى احرق في الحضارة ، وأمد سبيلها الى الثقافة ، بينما الثانية قد نشأت بعد الاولى واخذت منها :

والظاهر ان آسيا ، كما انتهت اليه الانجاث الجيولوجية ، هي مهد الانسان الاول ، والظاهر ان هذه البقعة التي يدعونها « الشرق الادنى » ، كما انتهت اليه النظريات الدينية الاخيرة ، هي المركز الذي توزعت منه الاجناس البشرية وانتشرت في اقطاب المعمورة . بعد . والظاهر ان « الدور التاريخي الصحيح » ينتج في بلاد الرومان والافريق الا حوالى ٨٠٠ او ٧٠٠ سنة قبل المسيح ، في حين ان شعوب اوربا الشمالية لم يبدأ ترويضها ، على وجه التقريب ، الا حوالى التاريخ المسيحي « ٢٦ » .

ارجع الان الى « صادر الحضارات الاولى التي تسلسلت منها حضارة اثينا في البدء ، ومن بعدها حضارة روما ، نجد بابل في الجانب الايمن ، ومصر في الجانب الايسر ، وفينيقيا بينهما ، وجميعا نشأت عن الموجات السامية التي وفقت على هذه البلاد من شواطئ شبه الجزيرة العربي (٣) . وقد عرفت هذه الجزيرة قبل انتشار قبائلها في الامصار المحرورة - فقد كانت انحص بما هي اليوم - ألوانا من الحضارة لا تزال مطبوسة بحجولة في اكثر ممالكها ، وليست مدنيتا سبأ وميمن وحضرموت وقطبانة التي كشفت الحفريات بعض آثارها الا دليلا ساطعا على اعادة الحضارة في الجزيرة العربية (٤) . فكان

(٢) ما يبرز في كتابه : « تاريخ العالم القديم » .

(٣) بريستد في كتابه : « اشراف على العالم القديم » .

(٤) دائرة المعارف البريطانية مادة « عرب » .

المعاقبة والمكسوس في عصر ، وسرجون الاول وحمورابي في العراق ، والكنتانيون في فلسطين عوامل التشديد في هذه المناطق قبل المسيح بثلاثين قرنا فبا بعد . . .

وما ان استقر للمقام بهذه القبائل في سوريا ومصر حتي الدفعا منها الى سائر البلدان المجاورة ، فأنشأ الفينيقيون قرطاج ، وتوسم المعاقبة والمكسوس على ساحل البحر الاحمر داخل افريقية ، كما توغلت موجة الساميين الشرقية في جبال الموصل وبلغت في فتوحاتها حدود البحر الاسود حيث اتصل بهم الاغريق في مستقبل حضارتهم . استمرت هذه الموجات بين مد وجزر ، تقرى تارة وتضرب تارة الى ان تدفقت آخر موجة عربية بعد الحركة الاسلامية على القسم الاكبر من سواحل المتوسط . وكانت اهم ما تكون اثرها هذه المرة في سورية وشمال افريقيا . بيد ان اثرها الثقافي في صقلية واسبانية وبالنسبة ، في اوربا كلها ، باق لا يمحوه زمن .

وبذلك نجد ان انتشار الثقافة في حوض المتوسط لم يكن ليتم الا على يد الموجات السامية التي انبثت اول ما انبثت من شبه الجزيرة العربي ، او من المناطق القريبة منه ، المحاذية له ، المتأثرة به . فالتاريخ يشيخ القول بنشوء ثقافة اصيلة في المناطق المتوسطية ، بل هو يؤكد بوضوح وصرامة ان حوض المتوسط الاوربي مسدين بخصاراته وثقافته لارفاذين عليه من الساميين واعقاب الساميين ا

- ٣ -

ثم . . . ما المقصود من كلمة « ثقافة » ؟

- الثقافة في جوهرها موقف روحي خاص يشنه الانسان حيال الحياة والكون والناس . وهي في مظهرها الملم والعلم والفن والفلسفة مجتمعة بكل فروعها في حيز فكري واحد ، فلو جدنا نبحث هذه المظاهر الثقافية عند شعوب المتوسط لطال البحث وما انتهى ، اذ لا نهاية في الحقيقة ولكن يمكن الاكتفاء بالغة لانها ، فضلا عن كونها تعبيرا وانما عن روح الامة التي تتكلم بها ، تضم سائر المظاهر المذكورة وتشتمل عليها .

ها نحن نشهد ونسمع ونقرأ ان شعوب المتوسط تنقسم بحسب انسنتها الى اصول ثلاثة : اليونانية واللاتينية والعربية ، فبذلك اذن ثلاث ثقافات تبدا لغات الثلاث المحكية القائمة ، ولا يجرح في صحة هذا التقسيم وجود لغات سابقة كانت من قبل منتشرة في هذه البقعة او تلك من شواطئ المتوسط كالفينيقية في لبنان ،

والإيرانية في سورية والميروغليانية في مصر لأن دليل الحياة في لغة ماء هو حياتها، فإذا انتشرت كان انتشارها دليلاً على سقمها وضحاها ذلك من البدائنة !

ولو كان هذا الجرح ذا قيمة في الحياة الثقافية ، أو ذا أثر في كيان الأمة لوجب على سكان اميركا اللاتينية ان يهجروا لتهم الاسبانية الراحة وان يهودوا الى الاممجات القليلة البالية التي كانوا يهاجرون بها بعد الطوحيمة محافظة على ثقافتهم الاصلية !! ولكن الأمة بجميع مظاهر حياتها واقم اجتماعي ، وليست نظرية فلسفية، فلن يفيد التناقص في هذه الاشياء شيئاً . . .

وهناك جرح آخر لهذا التقصير ، وهو ان العرب فرضوا بالقوة ، لبان سطرهم ، ثقافتهم على الامم التي اخضعوها بعد الموجة الاسلاميه فاضطرت شعوب المتوسط - ومنها اهل افريقيا الشمالية - ان تذهب للامر الواقع وتقبل مكرهه عادتها الاولى ، وان تأخذ بلغة الفاتحين وعاداتهم ، ويخلص الجارحون من ذلك الى القول باحياء الثقافات الاولى والمثلثات المندثرة طالما ارتفع الضغط وضعت العرب !! . . .

هذه الدعوى مردودة ايضا لان « التسامح » او « الرقي » اخص خصائص الطبيعة العربية في معاملته الغير ، ولا حاجة الى الاسهاب في تقرير هذه الناحية ، وكل ما يمكن الاشارة اليه في « روحية » العرب ان انتشار العربية في القرون الوسطى يشبه انتشار الفريزية في القرن الثامن عشر ، او انتشار الانكليزية في عصرنا الحاضر ، الى نتيجة تفوق الأمة بتعبير آخر ، في ميادين العلم والسياسة والاجتماع لاكثر ولا اقل ، فكانت الشعوب الاسيوية والاوربية تقبل بل تتسابق على تعلم اللغة العربية كما تقبل اليوم على تعلم الانكليزية دون ادنى ضغط مقصود يقوم به اصحاب اللغة انفسهم .

فاذا اردنا تصنيفه الموقف ، نجد بمد كل حساب ، ان حوض المتوسط يجري على ثلاث ثقافات متميزة : اليونانية واللاتينية والعربية .

- ٤ -

هذا من حيث المظهر ، اما من حيث الجوهر ، فان الثلاثين بثقافة متوسطية يحسبون او يستقنون على الاصح ان انتاج العرب الثقافي هزيل ضئيل حين تقارنه بانتاج الاغريق القدماء ، وآباء الكنيسة في العصور الوسطى ، وقادة الفكر المحدثين ، ويتفهمون من هذه الملاحظة الى الغاء العربية من لائحة الثقافات العالمية الهامة ، ويقتصرون على الاغريقية واللاتينية ، ومنذ كانت الحضارة

اليونانية قد استغنت كل ما في روحها - كما يعبر شينجلر الالمانى - واصبحت قاصرة عن اعطاء جديد في عالم الفكر ، لم يبق غير اللاتينية على شاطئ المتوسط في نظرم !

واللاتينية في لغة الثقافة الروحية تعني « الكشلكة » لان مجدها الادبي والادبي قام على اساس من هذا المذهب الديني ، فقد استلهمته فنونها وادابها وفلسفاتها من عهد روما الاكوييني والتقيس اوسطين الى دانتى الى بيسكال الى شاتوبريان الى ادباء الاسبان جميعهم منذ تقعر العرب عن الاندلس الى يومنا هذا ، فضلا عن روائع الفنون التي انتجتها جفريات رافائيل وميكلائجو وليوناردو دافنشي . . . وغيرهم .

والواقع ان الثقافة العربية مقصرة في هذا المضمار ، ولكن لا على النحو الذي يفهم به شعبيو هذا العصر قصورها ، وانما هو ضرب من الاتجاه الفكري جعل الايطاليين ومن تأثر بهم بعدئذ يتوقعون عند انتشار النصرانية واختارها ، في التعبير عن المساني الروحية والدقة في تصورها وتصويرها . ويجب ان لا ننسى ان نهضة اوربا في ذلك العهد ، مهد دانتى ، تأثرت الى ابد حد ، بالحضارة الغربية في الاندلس ، فكان تقدم الفن والفكر ، نتيجة زواج الروح العربية بالحيلة الاسبانية .

- ٥ -

لم يبق من قوميات الثقافة المتوسطية غير الناحية السياسية ، وهي التي تحدد بفرنسا كدولة مستعمرة لا كامة عنية بالروح جراحية ، الى اقوال هذه الفكرة والاشادة بها وتفضيلها ، حتى ذهب بعض مفكرينا المحدثين - وانظر انه فاليري - الى جعل الوضوح ابرز خصائص الثقافة المذكورة ، وذهب اخر الى ان « المزاجية » و« روح التنافس » هي التي تسيطر على ثقافة المتوسط . . .

غير ان ثقافة ليست ذات تربة جغرافية معروفة ، ولا هي مرتكزة على اساس من تزيين ، ولا عبرت عن نفسها بلغة من اللغات ، ولا رجعت في ميزان الدين ، ولم يبق ما يحفظها غير موقف سياسي حرج ، لا تكون طويلة العمر ، بل تعيش خيالاً رمزياً في ذهن شاعر رمزي يحتاج دائماً الى من يشرح له خياله واقواله كلما تحيل معنى او قال بيتاً . . .

عبد اللطيف سراره

صبر

ادهم الحجبول ...

بضم ابرهم سليمان مبرر

✦

ان يتعرض للقتل . ودلو كسر المرأة هرباً من رؤية وجهه ، ولو اتصف لما ود ذلك . فالتة لا في الوجه ، فهو - وان غارت عيناه فيه بعض الشيء ، او قصر انفه وعرضت نافذاته او تحللت اسنانه وجوات ، او طالت شق فة وغلظت شفتاه - لا يبعد عن الوسامة ولا فر الرائي . فقد برهن هذا الوجه مراراً ان له عند بعضهن حظوة وعند جميع معارفه صداقة . بيد ان العلة في نفسه ، في تلك النفس الحجبول التي تورد الوجنة لادنى امر ، وتتقاعس من القول والعمل لافقه الاشياء . فلطالما حسب استاذة بليداً كسولا عيا ، لانه لا يناقش في مواضيع الدرس شأن رفاقه بل يظل قابلاً في مقدمه يرى ويسمع ولا يتبس بحرف الا اذا وجه الاستاذ اليه سؤالاً ، وان حدث ذلك وكان هناك ما يقول تلعثم واخرج ما عنده بشق الانفس ، على انه مع هذا كله مرح بين رفاقه الذكور طلق الحيا واللسان يرمي التكتة قلو الاخرى دون عناء او تكلف ، فاجبه الجليم وداحوا يقصدون مجلسه .

والحجبول هذا ، من اين تسرب الى تلك النفس موهبة الحس وعشش فيها وافرخ ؟ فوالله رجل عنده من الجرأة الادبية شيء . وفير ، واخوته ما لمست فيهم هذه الحجة ، وخاله شيخ بداره وزير نساها ، ودا عرف احد من آله من اتصف بها . اذن فلا شأن للورثة في خجله ، فقد تحدى بذلك (ماندل) وقانونه .

ولملا التربية الوطنية . وهذه ايضا لا تحجب ، اذ ان الوالد ربي بنيه على الجرأة والاقدام لا سياً ادهم فقد بلا مواطن الضعف فيه وراح يحاول اقتلاع هذه الحجة من نفسه ، فبهناسة او بدونها كان يحضه على التفاء شيء من محفوظاته المدرسية امام جم من ضيوفه

فما من يكبت ما يعيش في صدره من عواطف ويجبس ما يجر في قلبه من ألم ، فلكي يسري منه بعض الشيء . عليه ان يتجج صدره لصديق يأمن جانبه او خدين يصطفيه . فاجبت ان العواطف في الصدر وعز الألم في القلب ضغط عنيف .

وكان ادهم من اولئك القلائل الذين يؤثرن كبت عواطفهم ودفن جهم على ان يصل الى النير ، وان كان ذلك يقضي منسه المضجع ويبلبل منه الفكر ، على انه ما وطد العزم يوماً على مفاتحة صديقه جيل - المصطفى منده دون جميع رفاقه اخر الا يشوع هذا يسرد قصصه الترومية وما مراته مع الشفتات بواجباتهم عليهن حتى الرواحة فينتكش ادهم على نفسه ويخلد الى النوم .

بماذا يحدث صديقه ؟ بمحاراته ؟ وليس عنده . نهسا شيء . بجرأته عليهن ؟ وهو لا يجرأ ان يرفع بصره الى احداهن . . . ليس عنده ما يقول الا انه يجب ، وجهه هذا سر لم يشاطر به احداً سوى مرآته الصغيرة وقوطاسه الاربض ، فنصيب المرأة منسه اشد اللوم واشنع التعويم ، ونصيب القوطاس ارق العواطف وامسى الغزل . فطالما وقف امام المرأة يحقد فيها بجمابين مطبين وبعينين ينشق الاحتزاز منها ، وبغم مزوم كفهرة كسب مربوط لا ينفرج الا عن تلك اسنان او سنط او آهة ، وكثيراً ما تتوتر عضلات يده فتنتكل الى قبضته كالدوس صلابة ثم يرفها بترق وعصية وبلطم

جبهته العالنية . وودلو كسر المرأة وتحلص من رؤية وجهه ، وكيف يعطها والحاجة اليها ماسة ، فهي تمينه على حلق ذقنه كل صباح وما اشد كرهه للقيام بهذه العملية الشاقة كل يوم ! ولكن هي الحياة الجامية تقضي بذلك فلا يجدد به وهو طالب في الصف المتبني في الجامعة



وان تعذر ذلك امام اهل بيته . وقد افلح بعض التي اذانه استطاع اخيراً ان يذعه الى الكلام بين الناس .

ولعل المولد شأناً في ذلك . فقد شفت ميناه فلنور قبل الحرب المنظمى الاولى بوضع سين آن اجتاحت بذرته وبان . ففتك بكثير من انسابه وذويه وفي بقيتي ان العلم الذي احسنه (الجدي) في نفس الام قد ترك آثاره في الجين ادم ، و نثرة المصابين بالهواء الاصفر (الكوليرا) قد روح الام وزادها خوفاً على طفلها الرضيع ادم الذي لا ريب في ان قسماً من هذا الخوف قد تسرب اليه مع الحليب وكيف لا تهلم هذه الام السكينة ولا تزوع وهي تشاهد يومياً ضحايا هذين الوباءين يجامون في مرادهم الاخيرة وبينهم القريب العزيز . . . وهل تظن ان هناك قاطلاً فاصلاً بين الخوف والحجل ؟ ما اظن ذلك بل كل منهما يذوب في الاخر حتى يستحي على اللبيب تمييز كل منهما .

قلت ان نصيب المرأة منه صير ، فكلياً جبن من اداء اي عمل او جمل من ابداء اي رأي وقف امامها مؤنباً نفسه ساعطاً عليها ، انما نصيب القرواس كان غير ذلك . فكلياً انتهى من الكيل لشخصه واغرم جرم بر كاته جلس الى قرطاسه هادي . النفس قوي العين يوشيه باجل ما في نفسه من عاطفة وانكاسي ما في فؤاده من حب ، فقد كان ولوعاً بالادب شعراً ونثراً ، شغوراً بالفن . قصيراً ونثراً ، يصطفي من الادب اصنام وارقه ، ومن الفن ابتداء واعقه ، ولقد اغرم بالشاعر الهندي طاقور فدرس جل حكتبه ، وكان لكتابه (البستاني) اعظم حظوة عنده ، فاتخذ كتابه المقدس ، لا تنفقه له عين ايلاً ما لم تقر بمطالعة بعض مقطوعاته ، ولا يستكمل جفناه صباحاً الا بترنيم قطعة منه ، وما هام بطاقور الا لساجد في كتاباته من دعة ومسكنة واستسلام وانتبال مما وافق هواه واتبع في نفسيته ، فراح يبيع قرطاسه النظر الى بنات افكاره المتخدرات الايكثار بأسلوب هو أسلوب الهندي طاقور ، فزأماً علي اذن ان اضح بين يديك بعض ١٠ على ذلك القرواس لاكون منصفاً له وافيأ محه .

يخيل لي ، يا غرامي ، ان الزمن سائر على اقدام اعياء الكلال وانا على منته اضطرم شوقاً لوصول الى اعقاب مقرك .

انما الوقت - - طيقتي - - بتلك في زحفه وانا خائف من ان النار في تجلتي رماداً قبل ان اصل الى بابك .

مندد . اذا تفلين ؟
هل تهلين بقايا جسمي بالدموع اللاآة ، ام ترمقني شراً

وتسير في طريقك ؟

قصرك قصي مع انه تحت مرمى نظري .

الطريق اليه ، ظلم خيف ، والسبل اليه وعرة ملاي بالاشراك ، لا وصول لي الى مقرك ، ولكن رغم ذلك ، اذا شئت ، اكون في لحظة بصر امام بابك مستأنذاً بالسنزل .

لو انك فقط تشيرين الي إشارة رضى لتوسلت الى النجوم ان ترقص على الطريق وتحنه نوراً ابدياً .

لو ان شفتيك اللتين هاتوحيات زهرة حسائي ، تلفظان فقط الكلمة ذات الثلاثة احرف (نعم) لتنازلت من كبريائي ودميت بكل شيء . عرض الحائط سافكاً آخر قطرة من الفرق في تعبير الطريق وترينه بانواع اللورد والياحين .

ولكن ، والسفاه اشتهت هي الكلمة التي انشدها ، وبهذا منها كلمة ذات حوفين (لا) ترف على شفتيك شديدي الحلالة .

*

لقد فهمت الان ان ترمض عيناك غضباً عندما امد يدي متسولا
الرحمة منك

لا لان فؤادك لا ينجف عندما يتردد صدى صوتي في اذنك .

لا لان شفتيك لا تخرجان فرحاً عندما تلفظان علي .

لا لاني . متسول انشد صدقة على بابك .

ليس من اجل هذا كله ترفضين استقبالي في قصرك .

اني اعرف سبب تضليلك دائماً ايبي ، ووضع سلسلة من العثرات في طريقي اليك .

تفطين ذلك كيلا ترشني آخر قطرة حب مني .

تضليلني خوفاً من ان تفقدي الحلالة المكسوزة في الشوق والامل .

ترجروني خشية ان تعرفني كل امر فني ، وان اصبح بعدئذ ظلاً ثقيلاً ملاصقاً لتفتيح ليلاً نهراً .

اني اعرف ، اعرف افكارك ، انك لا ترعنين في الحصول على ما تشتهين .

*

اهذا كل ١٠ تحشين ؟

اذن فاطماني يا ماني !

فكأسي دائماً ابداً . غمة بالحب لا ينضب معينها ، فكلمها

ارتشفت منها زاد حبها نضارة وحلاوة .

ان مملكة الحب ، قوامية الاطراف لا حدود لها ، ابداً تتجدد كنوزها ، وابدأ تنير بها جها .

إلا فزادي ، ان اتبع لك معرفة كنهى باجمه ، سأزودك كل آن ، بوجه من وجوه حياتي المتشابكة المتراسة ، سأبقيك تعرفين لازالة النورس الذي يكتنفي ، وسأقصيك من سر سر غور نفسي .

اجل ، اجل ان اصبح لك جفيرة كنهى كله خشية ان يعتربك الزهر والمثل آنذاك .

فأذني لي اذن ان آتي ، وسرعان ما تريني على بابك مستأذناً بالدخول .

*

ولو قدر له واذنت حبيبه ، فهل تظن انه يبرع اليها كما املى على قمرطاسه ؟ لا باله !

اجل فالحبيبة على قيد خطوات من فرقة الصغيرة التي تضيق بسرير وطاولة وكوسى ومشجب ، ولا يفصل نافذتها عن نافذتها سوى حديقة اكتفلت بالاشجار والوراش انه يراها كل صباح ولو شاء كل آن ، فهي لا تبجح الشرفة او النافذة الا لحاجة . ترشقه بسهام لظلمة تارة وتتلهى بجياكة الصوف اخري ، وان في نفسها له ما في نفسه لها ، تنتظر منه ابتسامة او بادرة سلام كي ترداه له باحسن منها . غير ان العجل - قبحه الله - كان يستولي على سموره فيعش الطرف ويداعب كتابه .

وما كانت الفتاة خجولا مثله بل كانت باجراً منه بكثير فقد حاولت مراراً ان تشجه على مخاطبتها مرة بابتسامة وأنا بشفرة او اشارة ، ولكنه كان يتعاضى عن ذلك . معتقداً انها ما ابتمت الا لاختها او ل احد ذويها في الداخل . وهكذا مرت الايام وكادت السنة الدراسية تنصرم وادهم يزداد هياماً بلياً ، طاموياً حبه في فؤاده لا يبيته الا مرأته وقمرطاسه .

وفي احد الاصباح ، وقد تضخطر لطر بكثير من عبق ازهار نيسان ، كانت لمياء تنحدر بسرعة على الدرج قاصدة جيرانها في الطابق الاسفل حاجة عرضت فارتلق غطاءها الابيض الخفاف عن رأسها وانحسر عن شعر فاحم تبدل عن كتفها شلالاً . وكان دهم في نافذته وانظاره تلتهم قلبه يبث لكل وثبة من وثباتها ، فتوقفت بئمة وكأنيما احست بنظراته والتفت نحوه وابتمت ، فاقتربت شفتاه من ابتسامة حارة ، لو انذر من قبل لاجبها ولكنها خرجت شاردة من نطاق روعيه فكانت رجلاً لابتناسها ، ولما شعر

بما اقترنت شفتاه احمر خجلاً حتى انحس قديمه ، على ان الامر قد انتهى وطره حبه من قرارة نفسه على تلك الابتسامة وتقاعها . ثم شفت الابتسامة بإشارة ثم بقبلة هوائية كأنها يتبادلانها كل صباح ومساء . فصف عندئذ سطوته على المرأة وراح بهلها بأعذب الاماني ، ويعتر بأنه اصبح ككل اقارنه له حب وله فيه مغامرات ، وبما مغامرات هي ا لم تقتصر على املى ابتسامة او اشارة او قبلة هوائية ، ولكن هذا شيء كثير على امثاله . فشعلت به هذه المغامرات الاثيرة الى الاغراق في التفكير والتلوي بالاحلام ، فكان يجلس الساعات الطوال ساهماً على صغيرة في الشاطئ ، محدقاً في البحر السحيق ويحلم ، واليك بعض ما كتبه اخيراً في ذلك .

كان الليل هادئاً ساكناً ، والقرم متدثراً بسحابة مهلبة ، والهواء يهب عليلاً لقيظاً ، وزورقنا يشق مياه البحر حقاً لا يعرف كيف التفتينا .

كنته الى عودك تخمين عليه وانا الى مجذافي القوس عليها ، فانبعث من اوتار عودك نغمات امتزجت بضربات مجذافي المترنقة كانت هناك موسيقى علوية رقصتها شعة القمر على صفحة المياه الزجاجية .

ثم ارتقم صوتك بانشودة ، وما انتهى آخر مقطع منها حتى ارتدنا الى اجاعنا ^{من بعيد} .

فقد خيل لي ان كل شيء في الطبيعة يشترك في ترجيمها - فالهوا ، بالزفير ، والاواج بالهدير ، والسك خروج من الاعماق يرتفع مصففاً بزعمائه .

وبعد انتهائك من التنا ، التقت بيدك خسارج الزورق وانت لا تقصدين ، وما ان شعرت بها المربعات حتى تسابقت اليها . تدافقت كي تحطى منها بالقبلة الاولى .

هممت : « اقرب يا حبيبي ! »
رमित آنذاك بالهفدات جانباً تار كما الاواج تسير قاربنا وهرعت الى جانبك .

ظلمنا ساكنين اخوسين وقتاً الله اطم بجلته .

كان كل منا في ذراعي الآخر ، وقد ادنى رأسك على صدري ، وحدث عيناك في صني تحاولان استكشاف مكنتي ، وحامت شفتاي فوق شفتيك تواقيتن لارتشاف رحيق السعادة منها .

لا استطيع ان ادرك ما حدث بعدئذ .

كنعلة سكرى ضائفة في قلب زهرة كنا غلبن ضائعين .
وما كل ما حدثتاك عنه الاحلام ، ولكن أمن الممكن ان

يحتفظ الواقع بذاتيته ام ياترى يستحيل الى حلم حالما تطويه الاليم ؟

■

رأى اخيراً أن يغامر ، ويقتحم خمار الحبل ، فكتب على قصاصة ورق كلمات ثلاثاً متعلقة حروفها بهذا الشكل (متى . أين . نجت م ع) وطوى تلك الورقة طيات عدة ، ثم انتهر فرصة خروج لمياه من البيت وسرورها تحت شرفته فرمى بها إليها دون كلمة وارعد الى غرفته وهي لا تسمعه ، تعرفه افكار وتغمله افكار كزورق حائر بين اللجج ، أيتى في الزفة منتظراً اوبتها ؟ ولا يلم متى ؟ وهل يتدور اسرى . مثله ان يصطبر ؟ أينادها والى أين ؟ واخيراً قرأه على الذهاب الى مكتبة الجامعة وهي لا تبعده عنه كثيراً ، له يستطيع ان يقضي ردهاً من الزمن لاهياً بالمطالعة ، وهل نظن ان مثله يفهم ما يقرأ ؟

مشى وهو يعد العدة لجوابها . فقد طوح به الخيال انه تلقى منها موعداً ، وأنه الآن سائر إليها ، وأنه قابلاً وجلساً على صخرة من انشاشيه ، وان تزهته واياها في البحر قد غشقت ، ثم ارخى لحياله البنان - وهو شديد الجرح - ففسي نفسه حتى انه لم يلاحظ وبميض البرق فحسب نصف الرعد صخب الاوج والمطر الذي انهار عليه رذاذاً وشبه به اللجة عند تكسرها على صهفة الورق ، مشى وهو لا يدري انه ماش على الرصيف والتمتاء ترميه بوابل من مطرها التزير ، ساد وهو سعيد بانكاره هالي . بأحلامه ، ولم يفتن للحقيقة الا عندما سمع صديقه جميل يصرخ فيه : « ادم ، ادم ، ما بك ؟ أيعجبك الاستحمام وانت في ملابسك ؟ »

فانتفض ادم من حلمه واسرع الى الحسانوت حيث صديقه واجاب مرها : « اجل ، ألم تسع بأن مياه تيسان تحمي الانسان ؟ » واراد ان يردف قوله بأنه قد بحث من جديد وأنه يرى الحياة اليوم غير ما كان يراها بالاسر ، أحب ان يروح بجبه لصديق فمولكنه احبهم من ذلك ، وما احبهم الا لانه لا يعرف مصيره فيه ، ولله الفضل .

وكان هناك (بيلارد) فطلب منه جميل ان يلاميه ، فصدع للطلب ولكن لم ينس اللهب ما هو فيه ، وما انتهى الوقت حتى دفع ما عليه - وهو المطلوب طبعاً - ورجع الى غرفته مبرصاً آملاً اوبتها راجياً استلام الجواب منها ، وفعلما كانت في النافذة

تستلطم قدموه ، فما غابت لمياه طويلا بل عادت سراعاً واعلنت له الجواب . وعندما لمحته لوحته له بالرسالة ، وسأته - بالإشارة طبعاً - كيف السبيل الى ايصالها اليه . وبعد اعمل الفكر تقدم واياها على ان ترهبها من النافذة التي كسرت على حديقة البيت القاطن فيه ، وهي ليست بحديقة بمعنى الكلمة بل قطعة ارض فقراء . الا من بعض الحشائش البعيدة قد املت على ان يشيد عليها دار فيما بعد .

تزل ادم الى الحديقة متجهاً نحو البقعة المنشودة وقلبه يخفق خفقات غير متزنة ، فكان يضرب ضربة ثم وقفة ، عدة منها ثم سكرون ، وكان لضربات قلبه شأنًا بتسيير قدميه ، فمعد كل ضربة بندفان الى الامام وعند سكروته يقفان . والحجول كالجبان يظن ان وراء كل نافذة عيناً ترقبه وفي كل منطف عنولا يحصي عليه حركاته وسكناته .

واخيراً وصل ، والمجدد على سلاته ، فاطلت (جوليت) من عل وردته بالجواب ، وما كادت الورقة تستقر على القاع حتى اطل رأس آخر من نافذة اخرى تحت تلك وصاح ساخراً : « الله ، الله ، التقطها ، التقطها ، فسوف ترى ! »

صلى ادم عند هذه المفاجأة ، وما شعر الا وهو في غرفته كن افاق من حلم خرج .

و من هذا القبول ياترى ؟ هو خادمة الطابق الاسفل ، فقد حاولت مراراً ان تستأجر حب ادم ولكنها لم تنجح ، اذ ان الفتى كان هاتفاً يهوى لمياه ، ابتدأني الى الحدم ؟ وك من مرة شاهدتها تقربه بإشاراتها ، غير انه سخر منها وهزى ، فاثار جفاها حفاظها وعضتها لليرة لما اشتمت رائحة العلاقة بين الجبين ، فترصدتها من وراء ستار النوافذ حتى تمكنت ان تباعثها .

خجول ! اطلوح به الحبل والجبن فيترك الورقة مرمية على الارض شاهداً عدلاً على الفتاة ويخفي . . . اجل لقد تركها هناك فعملتها الواسية وثيقة نابذة تدعم وشايتها . وهكذا نالت لمياه من ذوبها جزاءها واقصيت الى قرية في الجبل .

وكان ذلك آخر عهد ادم بها ، فناد الى مرآته يصب عليها جام غضبه وعجب بنات افكاره عن القوطاس .

بصره
ابراهيم سلجانه صبر

خلود

*

اصمى لي ، والدجى يجسب شخصي ، اتقى
والمرى يمدق بي ريان مما اتقى
صكلا امنت في انشاده ارفع اذا
والننى بين يدي غمراي جنى لتنى
يتلقن اناسيد المرى حنا فلحنا
ويكاد الحلم الخافى يعوي مطعنا
ناشدا مينك والدنيا مي ايان سكن
ويكاد البهرى لك لحنى
والدراري حوله يرقصن اجاداً وبعثى
والنعم الرطب يمتاز الى الروض وهنا
حاملان كل ما يث في الروح معنى
فاتخذت الليل دون الامين الحذر مجنا
وتزودت المرى كل المرى روحاً وفنا
واخذت البدر كيلا اخطى السدة خدنا
وتشوفت الى ايسات شعري ، أين من ??
فاذا البيت الذي اريد في جنيتك بينى
واذا البيت الذي اظف من مينيك بينى
واذا البيت الذي اصر من عطفك بينى
واذا انت الى الروح من الشاعر ادنى
واذا الروح التي تمجد في روحك تقنى ...
المرماني

من قصص الاقدمين

بهم

نور العربية بهم

امين المخطوطات بدار الكتب الوطنية

✽

الله بשרه

اضطر الاطباء ان يقتلوا رجل عروبة بن الزبير . من اثر ضربة دابة . ولما دمي الجزار قطعها قال له نسقيك الحمر حتى لا تجدها لما فقال لا استعين بشيء . حرمة الله .
وقبل قطعها دعا عروبة اهلها فباشر الجزار عمله وقطع كعبه ثم بدأ بشار المظلم ولم يسمع لمرورة انشاء الشرع غير ذكر الله ثم اعلى الزيت وصوبه على وجهه موضع القطع فانغمى عليه . من الزيت الحار ولما استغرق صار يسمع العرق من وجهه ولما رأى رجله دعا بها وصار يقلبها بين يديه ويهزها امام احاضرين قائلاً لها : يا الله يشهد انني ما مشيت بك الى حرام . (١٦) .

انه تأمك على برواني

صرف نظام الملك ثلاثين سنة في خدمة الملك الب ارسلان واجداده . وقد كان مليحة وزارته عماد الملك وحسب السلطنة وقوامها وخادما الامين المستقيم .
واتفق يوماً ان احد حفدة الوزير اتى ذنباً فشكوه الى الملك الب ارسلان فكتب هذا الى وزيره يقول : ان كنت شريكى في الملك فاخبرني وان كنت وزيرى فتجب عليك طاعتي .
فأجاب الوزير للذين اتوه بالرسالة : قولوا للسلطان ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعف انك . ما نلت هذا الامر الا بتدبيرى .

ثم التفت الى من في الباب وقال : بلغوا السلطان عني ان تاجه معلق بدوالي ومضى اطبقت هذه النواة زال عنه التاج ودك الصولجان . (٢٦) .

(١) وفيات الاميان وابنا . ابن الزمان لابن خلكان ج١ ص ٣٩٨-٣٩٩ .

(٢) ابن الجبري ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

عني تكلمه الارض

قتل المهلب التخلي ولذا للحارث بن عباد وهو من سادات وشيخان وشعرا . الجاعلية (٣) ثار الحارث وتنادى بالحرط وارتحل قصيدته المشهورة التي كثر فيها قوله «قربا مربوط النمامة» في أكثر من خمسين مرة . والنمامة فوسه (٤) لم يكن في زناها مثلها فأتوه بها فجز ناصيتها وقطع ذنبها وكان اول من فعل ذلك من العرب فانخذته العرب سنة اذا قتل لاحدكم عزيزاً واراد ان يطلب بثاره .
فانصهر الحارث وأسر المهلب وجز ناصيته واطلقه وانقسم ان لا يكف ولا ينف من تغلب حتى تكلمه الارض فيهم .

فأدخلوا رجلا في حفرة تحت الارض على طريق الحارث فربه الحارث فأخذ الرجل من داخل الارض يروج ويسترحم ويستنيث بالحارث حتى يكف من بني تغلب ويبقي عليهم . فطلبوا عندئذ من الحارث ان يبر بقبسه قبر بقبسه وعفى عنهم . وكانت قبيلة الحارث تملق رؤوسها في الحروب ليعرف بعضهم بعضاً . ولها «يوم تحلق بالدم» (٥) .

داود به نصير الكوفي

شغل فتحة بالهلم اختار العزلة والخلة والانفراد فلمز العبادة وكثرة الطواف قللاً في درهم . فمش بها سنين عديدة يتفقا على نفسه وورث من امه داراً فكان يتنقل في بيوت الدار . كلما حارب بيت منها انتقل الى غيره . وفي هذه المدة قدم الكوفة محمد بن قحطبة ووجه اليه بدرة فيها عشرة الاف درهم وقال استعن بها على دهرك فردها فوجه اليه بدرتين مع خادمه . وقال له ان اقممت داود بقبوها فانت حر ففضي اليه فابى ان يقبلها فقال له الخادم ان في قبورها «عق رقبتى» فاجابه داود وفي قبورها «عق رقبتى» (٦) .

وكان القاضي ابو زكريا الانصاري فقير الحال جداً وكان يجرع فيخرج ليلا يلتقط قشور البلطخ ويأكلها (٧) فسخر الله له طعاناً تكفل له بالطعام والكسوة سنين (٨) .

(٣) عده الروحون لابن شيخو من شعراء التصانية .

ج ١ ص ٣٧٠ - ٣٨١ .

(٤) قاله ابن بدرون في الكتاب نفسه ص ٣٧١ .

(٥) العقد الفريد ج ١ ص ١٧١ .

(٦) وفيات الاميان ج ١ ص ٣٢١ .

(٧) طبقات السبكي ج ٢ ص ١٤٤ .

(٨) معجم المطبوعات ص ٤٨٤ .

ظاهره جبر الله الطبري

كان ثقة صادقاً أديباً ورعاً وله الشعر الحسن وذكر السعدي في الذيل أنه كان له عامة واقص بينه وبين أخيه إذا خرج ذلك قعد هذا في البيت وإذا خرج هذا احتاج ذلك أن يقعد .
وإذا غسلت هذه الثياب قعدا في البيت ، وتروى حتى تجف الثياب (٩) .

امرؤ القيس

اختلف المؤرخون في اسمه فقيل جندب وقيل مليكة وقيل عدي . قال الشعر وهو غلام وكان يجر ويسب ويباشر صاليك العرب . ناه أيوه فلم يفته فطرده فاخذ ينتقل بإصحابه في أحياء العرب يشرب ويطرب ويلهو إلى أن بلغه مقتل أبيه وهو جالس للشراب فقال : «رحم الله أبي ضيحي صنيأ وحلفي دمه كبيراً لأصحر اليوم ولا سكر غدا اليوم خير وغدا أسر» فلم يزل حتى تار لآبيه .
وكان امرؤ القيس في أعمال دمشق - «سقط الموى» و«الدخول» و«حومل» أما كن معروف في حوران ونواحيها (١٠)

أبو محمد الأندلسي

طلب فك قيده ليحارب . حارب أودع إلى قيده أحد الإبطال الشعراء الكرماء . كان منهمكاً في شرب النبيذ فجنده عمر مراراً ثم نفاه إلى جزيرة في البحر فهرب وخلق بسد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس فكتب إليه عمر أن يجسه فعجنه سعد عنده فالتمس أبو محمد من امرأة سعد (سلي) أن تحل قيده وعاهدها أن يعود إلى القيد أن سلم فخلت سبيله فقاتل قتالاً عجباً ورجع بعد المعركة إلى قيده وسجنه فعدت سلى سعداً مجزاً فأطلقه وقال له لن أحذك أبداً فترك النبيذ وقال : «كنت أظن أن أتركه من أجل الحدة» . وتوفي بأذربيجان أو بيجرجان (١١) سنة ٣٠ للهجرة .

داود بن علي

كان زاهداً متفلاً كثير الروع من اعظم طلاء عصره . قال القاضي الحاملي : جاء عبد الله فذهبت أهلي . داود بن علي دخلت عليه وإذا بين يديه طبق فيه أوراق هندبا وعصارة فيها نخلة وهو

(٩) تاريخ الأيمان ج ١ ص ٢٩٣ .

(١٠) تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ١٥٤ .

(١١) قاموس الاعلام ج ٢ ص ٣٣١ .

بأكل فبأنه وعجبت من حاله . وخرجت من عنده ودخلت على رجل كرم يقال له الجرجاني وطلبت منه مونة داود بن علي فقال لي الجرجاني أن داود شرس الأخلاق وجهت إليه البأسحة بالف درهم ليستحيي بها فقال لفلان قل للجرجاني : بأي عين رأيتي وما الذي يملك من حاجتي حتى بعث لي بالف درهم .

فقال القاضي الحاملي للجرجاني هات الدرهم فاني أحملها إليه قال الحاملي : فاخذت الدرهم وجئت إليه فقرمت الباب ودخلت وجلست ساعة ثم أخرجت الدرهم وجلتها بين يديه فقال : اهذا خزا من استنكك على سره واستنكك داخل بيته وأهلكك على حقيقة حاله أنا بأمانة العلم ادخلتني إلى أرحم فلا حاجة لي فيما معك من دراهم وحقائق (١٢) .

أبو المقفع والبربر

عبد الله بن المقفع أول من حفي بترجمة كتب المنطق أصله من الفرس ولد في العراق بحرساً ولي كتابة ديوان المنصور العباسي وترجم له «كتاب أرسطوطاليس» الثلاثة في المنطق وكتاب المدخل قتله في البصرة أميرها سقيان بن مارية المهلب .

قال الميثم بن عدي جاء ابن المقفع إلى عيسى بن علي فقال له قد دخل الإسلام في قاري وأريد أن أسلم على يدك فقال له عيسى ليكن ذلك بحضور من القواد ووجهه الناس فإذا كان الغد فاحضر ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويترزم ويصلي على عادة الجورس فقال له عيسى اترزم وأنت على عزم الإسلام فقال ابن المقفع : «إني أكره أن أبيت ليلة بلا دين» (١٣) .

المستنير بالله

في سنة ٦٦٠ توفي المستنير بالله ابن المتقي وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلاً وقض على إنسان كان يسمى بالباس فأطاع حسنه فشنه فيه بعض أصحابه المختصين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار . فقال الخليفة أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي إنساناً آخر مثله لحي أجسه فأكف شره من الناس (١٤) .

عبد الله بن العربي

كان من أكبر محدثي طلائ زمانه وزاهداً متعبداً تركاً الدنيا . عرض عليه هرون الرشيد القضاء فرفضه بأنفة (١٥) وطلب منه

(١٢) ابن خلكان وفيات الأيمان ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(١٣) وفيات الأيمان ج ١ ص ١٨٧ .

(١٤) مختصر تاريخ الدول ص ٣٧٢ .

(١٥) التهذيب ج ٥ ص ١٨٤ .

لرشيد ان يعلم ابنه فاجابه يمكن لابنك ان يحضر دروسي مع عامة الناس فقال له الرشيد : « وجدت اني لم اكن رأيتك » فاجابه : « وانا وجدت اني لم اكن رأيتك » (١٦) .

عائشة النبوية

كانت من العابدات الزاهدات وهي ابنة جعفر الصادق كانت تقول : وعزتك وجلالك ان ادخلتني النار لا اخذن توحيدى واطوف به على اهل النار واقول « وحدته فذهبنى » . توفيت سنة ١٤٥ (١٧) . وكانت احدى العابدات الخائفات تقول مخاطبة الخائف : والله ان عذبتني لاشهدن عليك الناس انني اءصيتك ابدا .

فروى

حتى المهدي العباسي والد هرون الرشيد على زوجته الخيزران ليلا وقال لها في سورة التضب انت طالق ثلاثاً ان بت اليلة في مملكة اي فلما سكن غضبه ووجدها براء من التهمة وان اجتياز مملكة ابيه حتى يصبح خارج حدودها يستأجر الايام والايام في الطوال استدمى الايمان والفقار . وعرض عليهم اوتيا كنه .

فقال له القاضي ابو يوسف يا مولانا تبيت اليلة في الجاسم وهذا بيت الله لا دخل له بمجدود مملكة ايك ولا بملك ايك » وهكذا كان (١٨) . وبقيت الخيزران للمهدي .

سؤم طويس

هو عيسى بن عبدالله اول من غيى بالمدينة غنا . يدخل في الايقاع كان ظريفاً عالماً بتاريخ « المدينة » واسباب اهلها يجيد النقر على الدف وهو من اشهر المغنين والمطرب . بصناعة الفنا . في صدر الاسلام . وفيه المثل : « اشام من طويس » لا يقال من انه ولد يوم وفاة محمد بن عبدالله بن عبد المطلب وفطم يوم منات ابو بكر وختن يوم قتلى عمر وتزوج يوم قتل عثمان وولد له يوم قتل علي (١٩) .

سالم الشاعر المعروف بالفارس

هو سالم بن عمرو بن حماد وكان متظاهراً بالخلاعة والفسوق والمجون . وكان سالم من تلاميذ بشار وصاد يقول شراً ارق من شمر بشار وكان يقول بشار ان سالم يأخذني الخاني التي اتصف فيها

فيكسوها فانظاً اخف من الفاظي ولاني لن ارضى عنه ابداً . فما زالوا يسألونه حتى رضي عنه وتوفي سالم سنة ست وثمانين ومائة . ومعه سالم « بالفارس » لانه باع مصحفاً واشترى بشجته طنبراً (٢٠) .

فرس الاصمعي

قال الاصمعي حضرت انا وابو عبيدة عند الفضل بن الربيع (وقيل عند هرون الرشيد) فقال لي كم كتابك في الخيل فقلت مجلد واحد فقال ابا عبيدة من كتابه فقال خمسون مجلدة فقال قم الى هذا الفرس واسك عضواً عضواً منه وصحه فقال لست بيطاراً وانما هذا شيء اخذته من العرب فقال لي قم يا اصمعي وانعل انت ذلك فقممت واسكت ناصيته وشرعت اذكر عضواً عضواً واضم يدي عليه وانشد ما قالت العرب فيه الى ان فرغت منه فقال خذه فانخذته وكنت اذا اردت ان اقبض ابا عبيدة ركبتة اليه وكنت اتقصده اينما سار واركب فرسي واطارده امانه . وكان يتنظراً من ذلك عبداً (٢١) .

محمد بن محمد الدودي الديلمي

كان عالماً في علم البحر وكان عالماً فاضلاً الا انه كانت فيه غفلة وصورة بله في الصورة الظاهرة ومن « مناقبه » انه كان يوماً على جانب نهر ومعه بعض كراديس يطالها فوقهم منها كراسة في الماء . وبعثت عنه فلم تقبل يده اليها ليأخذها فآخذ كراسة ثانية وجذبها بها فثلثت الثانية (٢٢) .

ابنك لوزداد بك ادبا

حكى ان الرشيد اراد ان ينظر الى ابي شعيب القتال كيف يعمل وكان ماهراً ، فادخله القصر واتوه جميعاً ما يحتاجه من آلة العمل ، فبينما هو يعمل اذ بالرشيد قد اقبل ، فلما رآه بعض قائماً فقال الرشيد : دونك وما دعيت له ، فسألني لم آت بك لتقوم لي وانما آتيت بك لتعمل بين يدي . فقال : وانا لم آتلك ليسوا ادبي ، وانما آتيت لادداد بك ادباً . فاجبه كلامه واجازه (٢٣) .

نور العربية يرم

(٢٠) وفيات الاميان ج ١ ص ٣٦٨ .

(٢١) ابن خلكان ايضاً ج ١ ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٢٢) وفيات الاميان ج ١ ص ٤١٣ .

(٢٣) اسرار الحكماء للمستصم ص ٩٦ .

(١٦) التذكرة ج ١ ص ٢٥٩ .

(١٧) اللذ المشهور ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(١٨) حشادة الاسلام ص ٥٢ - ٥٣ .

(١٩) الاماني ج ٣ ص ٢٧ .



في اعقاب الخريف

بضم الهمزة سعاد عارف ابو مشرف

★

الرياح ؟ او حفيف الاوراق المتساقطة !!

اتراني كنت آس ، اياها الخريف ! الى هذه الاوقات الواجبة التي يطحن فيها الالم الراسي في قوارة نفسك ؟ وانا التي افر من الكتابة ، اياها من تناقض مع طبيعي المرح ، ولما اعلم من أثرها المولم في النفوس والقول ؟ !

ام تراني كنت اكبر هذا الوجوم وهذه الآلام البادية في كل منظر من مناظرك ، فاصمت احتراماً ؟ ولم لا ؟ ان الكتابة تحرك القلوب وتلمب يارثرها فيوسان النغم الوثيق ، يبكياً حيناً ، ويائساً احياناً ، وتثبت الآلة المتقطعة فيضاة بشق الحليجات ، والانسان ان تألم ، أودع القرار من آلامه ، ففكر ، وان تلمب ، طلب الخلاص من عذابه ، ففرق قيمة الالم ورثى لشقوة المذنبين ، وان صدمته هموم الحياة اتصدع وتوجع ، وارسل عصارة افكاره وخفقات قلبه انغاماً تفيض بالذكري ، او آيات تذهب حكماً او أصولاً !!

أما اذا اسعدته الاليم ، وغمرت به ثباتها ، فقد ذهب بقلبه وخيمه فتحطم البوتر الناطق ، واسكنت القيثارة الشادية !!

انت اياها الخريف ، رمز الثورة بعد المجرع الطويل ، وانا اسكن لثورتك ، واكبر هوبك ونشاطك ! لكنك فصل الخزال بعد الدافية ، وفصل الشحوب بعد التضارة ، وفصل الموت للنبات بعد الحياة وفصل الفناء للازهار بعد الزهو والحياة ، في ليال هيبجة هنيئة ، مليئة بالسرات .



في فترات ، اجلس طويلاً الى نافذتي ، اتطلع الى الفضاء ، فاذا الاوراق تتناثر في مهب الريح ، فيشير انفراطها في خاطري شق الافكار ، ويرقط في نفسي رواقد الحطرات !!

واسرح النظر في الافق البعيد ، فلا اراه الا مبرداً ، يساً ، تلمس معالمه سحب سود ، تصارعن رياح عابثة ، ويهولي هذا المشهد الكتيب الميمن على طول الافق ، ويمررك نفسي منظر الطبيعة القائم ، فتتأدى امام ناظري لطيف المجوم !

ثم انظر الى الجو ، مليئة النظر ، فاذا رياح التحدث من الفلك التاسع مسرحة لجيشها وذخوعها ، واذا غيوم تتلبذ تارة ، وتفتقر طورا من بعض بقع زرق في الاديم الشاسع ، وما هي الا دقائق حتى ينضب ملك الجور ، ويشود مزججراً مهدداً ، منشدراً سحب السماء العابسة بساعات تفيض دموعاً .

تلك ساعات هنيئة من ساعات الخريف في بلاد الجليل ، كنت اجلس فيها وانا اكثر ما اكون نقطة وانتباهاً ، متأمة لتلك اللوحة التي رمتها يد علوية ، فصارت آية في الفن وآية في البلاغة . هليها من الكتابة مسحة ، وفيها من الصمت ما يعلل القلوب والافكار آيات والحانا !! لقد كنت اسكن طويلاً الى لوحك الناطقة ، اياها الخريف ! صابرة اجلا لا هذه الكتابة التي تنمر اوقاتك ، وتحولها الى ساعات ساهمة واجبة ، لا يتقطع سكوبها من حين الى حين ، الا مورسل

تهذيب القوى النفسية

بفهم

الأب مرمجي الروسي

★



القوى النفسية تتناسق من الواجب مراعاته عند السعي في تهذيبها . فهناك قوتان منوطتان بالروح محضاً ، وهما قوة الإدراك ، وقوة الإرادة . وهناك قوتان أخريان قانونيتان مرجعها إلى النفس والجسد معاً ، وهما الخيلة المرتزة الإدراك ، والشعور المساعد الإرادة . وهناك أخيراً الذكاء ، قوة اكتساب المعارف وحفظها ، فهي أيضاً قوة تنبؤية ، لكن مهمتها في غاية الخطورة للشغل العقلي .
تستحق أن الخيلة قوة قاذية ، إذا قابلناها بالعقل . فبالعقل يمتدح الاشياء ، غائراً في اعمالها . الخيلة تعمل في ظواهر الاشياء ، دون أن

تخترقها ابداً . العقل يدرك المبررات وغير الماديات . الخيلة تقف عند حد الحقائق العينية المحدودة والمحلية . أخيراً العقل يقاسم ويحكم ويبت . بما لا قبل للخيلة أن تأتيه . فهي خادمة ، بيد خدمتها ضرورة للعقل .

يكذا القول في الشعور بالنظر إلى الإرادة . فالخيشنة روحية صرفاً . الشعور حلم ودم . الإرادة حرة . الشعور مضطر . في وسم المو . ضد الشعور من التئلب عليه . لكنه يتنذر عليه منعه من التولد والحركة . ولهذا تبقى الاوهام مجردة ، طالما لا تبدي الخيشنة عزمها الحارم . هذه هي سلطة الإرادة على الشعور . فهو

ايها الخريف الجليل ! اترانا نفكر فيك آتياً كنت ام ذاهباً ؟ قبل ام مولياً ؟ وعلام التفكير ، ونحن تشغلنا امور المادة من كل عمل خارج عن حدود المادة ، فلا يبقى لدينا من الوقت سعة لان نصني الى آياتك ، قائلها الطبيعة ، فتتوهم بها الرياح مسبعة قلة مكبرة اخرى ، ويتجاوب صداها في الاجواء القريبة والبعيدة ، مردداً انات الرياح وعويل العواصف ، وكأن كل ما في الطبيعة يسبحي منظر الارض الداوي ، ويرى هذه النظارة التي مرت عليها بذاك ، فالبستها وشاح الذبول والنفاء .

لكنك سائر في عملك ، ايها الخريف الحزين ! ونحن سائرون في اعمالنا ، وفي نفسك ممان وعحكم وفي قلوبنا امان وآمال ، ومهم وشجون . غير اننا نذهل احياناً فنتام ونحلم ، بينا انت جاد دوماً ، يقظ ابداً ، تبدي وتعيد ، وتأمل وتحقق ، وتقرر وتنفذ . ثم تبرز رأسك سخرية بنا وهزاً ، وتحضي في سبيلك الى ، شاء الله !!
نساء عاريف ابو شرف
عالم حور

انت ، ايها الخريف ، رسول الموت يذكرني كل ساعة بالفاءنا ، وانا في حاجة الى هذه الذكريات وهذه الملاحظات . ان الانسان - ذلك المبرود الضعيف - تذهب بيله ، باهيج الحياة ، ويغزو نفسه الطمع فيهم على وجهه في مشارد نفسه ، فلا يروحي ، ولا يفكر .
انت تعبر بلسان الطبيعة في بيان لبق ، واسلوب متين ، ان لا قوة تدمر ، وان لا هناء . يطول ، وأنا تسكرني آياتك ، صادفة مني اذنأ مصنية وقلباً واهياً !

ايها الخريف الحزين ! شاهدتك في هبوب الطبيعة وفي ثورة الرياح ، وفي دموع السحب وفي تناثر الاوراق ، وفي شجوب النبات وفي هيبات الاشجار ، فأنت تجبروت الطبيعة ! اباقت - وانا الضعيفة - ان القوة رمزك ، وهي منك . وانتك تأتينا واعظاً ، ولكن نتركتنا غير عاين . بنا . فانت لا ترقد عن عملك كما ترقد نحن في سبات عميق ، بل تيب بنا : أن نخذلوا ، وادرسوا دستور الطبيعة فسلبنا غر ونجدد ، وسنحكم غر وهلاك ! !

التوارد الامانة على تثبيت الذكريات . والافتكار التي تقارب مرة من المرات تصح عدية الانفصال ، فلا يظهر الواحد منها الا وقد تبعه صوره . واذا كانت آفة الذاكرة النسيان ، فمن الخطأ الاعتماد على الحفظ وحده ، وافعال تفيد العلم في كئاش او دفتر ، ثقة بما استقر في الذهن . لان الشكل معترض والنسيان طارق . وقد قيل : « اجعل ما في الكتاب رأس المال ، وما في قلبك الثقة » . وقيل ايضاً : « لولا ما عتدته الكتب من تجارب الاولين ، لانحسل مع الإيمان عقود الآخرين » .

غيب الخيلة

تهذيب الخيلة واجب لازب . لان مؤازرتها لا غنى عنها في العمل العقلي . هناك من يصم الخيلة بعيوب ، بلجرها احياناً . بيد ان الادراك والخيلة يحسسان ويتعاونان . لكنها يتفرقان حسياً يمكن الخيلة انزال كبير للمضرة ، او الافادة جزيل الفائدة . الخبرة تعلم ان الخيلة الجائعة تحث القياس والحكم . فاحسن استخدام للخيلة جعل العقل قائداً لها ، واسود استعمالها ترك الحبل على غاربها . فان الخيلة اذا صاحلة بذاتها ، ولا تسمي مضرة الا حين اغتصابها مقام العقل . اخذتها عرضي بقائها خادمة ، تسمى في ان نصحي السيدة المطاعة .

من خواصها الحسنة انها ترفعنا فوق الحياة الواقعية ، فاتحة للعقل آفاق الانبانية . فهي ينبوع الشعر ، والقوة الحالية الى نفسنا اشعة النور والامال . هي مبدأ الابداع والبرق ، هي المانعة النفس حرارة البقرة ، هي الساحرة الكاشفة للاشياء الخفية ، هي القاصدة المقاصد المعيرة وجبه البسيطة وحالة البشرية . وفي ميدان العمل العقلي ، هي القوة الفنية والشعرية السامية ، هي المحركة للمواد والحالقة جديد الحالات والبيئات . هي في باب العلوم ينبوع الفرضيات ، والمحاكاة الستار مما لم يحكم به من المناسبات . هي التي لتنت النسبة بين الوعية والشرايين ، هي التي مهدت السبيل لاوقوف على الدورة الدموية ، هي التي بفضلها رقي العلم من ظاهرة مبتذلة الى سنة التجاذب في الاجسام ، وادراك خطورة البخار .

اهاء في الدرس والبحث فهبتها متواصلة . اذ ان ما يدخل الى العقل يعبر في الحواس والخيلة . مما جعلها التمرانة المهمة للادراك ولوجودها في شتى الطرق المؤدية من الحواس الى القوة المدركة فهي بمنزلة الرسول او البريد بين الاثنين . هي التي تقدم للعقل الصورة المجسوسة او النصر الاول لشغل الفهم . ومن الجهة الاخرى

اذا تحت تصرفها ولحدهما . هذا هو النظام الاساسي . فاذا هدم وارخي المنان النفسية . فقد العقل قوته ، متشتتاً بملومات نافذة . وممللاً ذاته بتخيالات مستحيلة . فيسكن بخمرة الانبسام الشعرية . ورويداً ورويداً ينصرف عن جادة الصواب . وكذا الشأن في الارادة . فانها تضف بتجاوز الاحساس حدوده . لان عادة التأثيرات الشديدة توصل من طريق الهيام ، الى خود القوي ، كما تؤدي الحسى الى الغزال .

غيب الذاكره

الذاكرة قوة مهمة للاكتساب وحفظ المعارف . نعم يقال : اذا زادت القوة الذاكرة ، قلت القوة الحافظة . بيد ان الخبرة تثبت ان القويمة الترفقة والذاكرة الفريدة غالباً ما تتماثلان . والجهد في اكثار المعلومات لا يخلو من الفائدة للخيلة والشعور . ولذا كرهت قيمة ادبية ، لترويتها الارادة وتهذيبها الطبع . فمن الخيد تفرخ الذاكرة ، جعلها مستردداً للخصوص والامثال والقواعد والحقائق على اختلاف ظروفها . فهذا كثر لا مثيل له ، ولا قدرة لا يجد على خطفه منا . فقد جاء في الامثال : « حرف في قلبك ، خير من الف في كسبك » . وقالوا : « لا خير في علم لا يبرح ملك الوادي » . ولا يبرح ملك النادي . « وانشد الشاعر :

« علمي معي حيث ما يمتد جنفي قلمي بطلعه لا يطن طندوقي
ان كنت في البيت كان العلم في يدي اركنت في السوق فالعلم في السوق »

خير انه لا يسرغ تعلم شيء دون فهمه ويجب ان نقف تحت قشر الكلمات على لب الاشياء ، وان نتقصى النص بين فاصحة وان ندير بنود المعارف القديمة ما اكتسبناه من المطاوعة الجديده - فكل اكتساب يشدد قوة الفكر ، ويهيء امام المرء قروحاً حديثة . فقد قيل ايضاً : « كونوا لعلم رعاة ، ولا تكونوا له رعاة » .

لقد ادعى فريق من علماء النفس ان الذاكرة غير قابلة للتحسن . الا ان الاختبار يدل على العكس . اي ان كل ذاكرة تستمر دون عمل تضف . لكنونها تنقص بالترواني ، وتنمو بالشايط . وقوتها متفرقة خاصة على غزارة الحاسات . فان انتعشت هذه الحاسات ، ازدادت الحافظة قبولاً ومثانة .

على ان هناك قاعدة نفسية غير جاتر نسيانها ، وهي ان مدى الذكر هو عادة بنسبة الاقتباس . فمن اللازم ان يسرغ المرء في عقله المعارف بانتباه شديد متواصل ، وان يرتب ويصنف الافتكار . فالخاطر المتناسقة بطبيعتها سهلة الانتظام في الحافظة ومن شأن

تقع مجردات العقل ضرباً من الجسم الرقيق الذي يكاد يحيط بمنظورة
 اما تهذيب فليس من الهن القيام به . اذ لا شيء خارجي في
 وسعه قسره . لذا يتعد اجبار امرى . على التخيّل ، او ابعاله في
 ساعة محدودة . هي قليلة المرونة ، لكونها حروناً ، وفردية ،
 وشخصية . وفردية . هي صادرة من الشعور والهوى ، ولا عن
 المعارف والاساليب المنطقية . فالاولى ان تترك لها الحرية لاختيار
 ما يلائمها من الممارسات . وتوسعا تاجم مما تتغذى به . من الصور ،
 والمشاهدات الطبيعية ، والمطالعات ، والاسفار ، وصحاح الاحسان
 للموسيقى . ويتواصل بالاساليب الادبيّة ، وعامرة الحاسات ،
 كحبة الجمال واخيراً ، والاعجاب ، والحلمة ، والكلف بالمناظر
 الطبيعية ، والتزهات ، والمحدثات المفيدة ، وقراءة التراجيع السنية ،
 وروايات الاسفار ، والشعر الوصفي والاخلاقي .

وهناك طائفة من الباحث من شأنها تسهيل تهذيب الخلية .
 من مثل مواضع العلوم الطبيعية المستندة الى الملاحظات ، والدافعة
 الى الاندخال من العنائب التي كثرها الله في الكون . التارخ يتقدم
 لها اشتغافاً ومشاهدة وحواشي . الجغرافية تثرها بتجسّسات العلم
 الباهرة ، الادب يقيض النفس للتعبير عن الإنكار . ويطرس المؤلفين
 يوحى الجمال الادبي ، ويوسم في النفس فكرة اللذة .

عذيب الشعور

ان هذه القوة ، قوة الشعور ، ذات نفوذ بلغ في الشغل العقلي . فقد
 رأينا انها مساعدة للارادة . وهي كلما اشتدت ، كبرت وظيقتها .
 ان شاء المرء ، المحافظة على الحرارة في الشغل ، انش دائماً المرافف
 التي تدفعه اليه . فليبه ان يفتح ابواب نفسه لكل التأثيرات القادرة
 على ما يرفع مقامه .

ان الواقعيين قد ادعوا ان الدماغ وحده كاف للعمل العقلي .
 ولكن القلب آلة خطيرة ، لكونه قوة وحياء . وفي تهذيب العاطفة
 ضروري النضال لمناهضة الانانية ، وامبال الطبيعة للمنحطة . فالواجب
 تغذية القلب بمواطف نبيلة ، ومقدّات رفيعة ، من مثل حبة الشغل
 الادبي ، والقراءة ، والحب ، والرياضة ذاتها ، بشرط ان تكون
 تقيفاً وتزويجاً مماً . ولا شيء اصغر فائدة من الممارسة المدققة
 للواجب ، والتدقيق في اداء كل شيء . في لوانه . فاذا تعود القلب
 هذه التضحيات المتواصلة ، تحور شيئاً فشيئاً ، فيحلق بفرح فوق
 مشريات الحواس الدنيئة ، مصححاً على استمداد لتأثر بكل الدوافع

التي تعمل على اعظم درجة من الكمال .

اما الانانية فهي العدو الالذ المتصد لفتك بالعاطفة . فما يبطل
 عمل الروح - ماناً اياه عن اداء . التضحيات الكبرى - هو ذلك
 الاهتمام المفرط بالذات . فيبني المرء . وذلل وقع هذه الاثرة وبسط
 قلبه ، غير محجم ، عند ادنى فرصة ، عن الكفاح . وبذلك النفس
 والتضحية . فلا يقول ابداً « ما اقدر » ، لان الشجيم كثير .

هذا ومن شأن العلوم التي يتلقها المرء ان ترفع قدر القلب فتصل
 بالانسان الى غايته . اذ حين تتولى على النفس فكرة كبرى سامية ،
 هان على الجنان اقباعها ، تاشطاً لتحقيقها . الدرس يهدي الحواس ،
 ويبدى اضطرابات الخارج ، مانحاً العقل السلام الهني ، والقلب ،
 النبطة والاكسراح . في البحث تجد النفس حريتها ، والقوى لذتها
 الحقيقية . الحافظة تفتش فتجد درراً قيمة . الخيلة تتبع مثالا يظنها
 بالاجتذاب . العقل ينظم فينير فيثبت فيشهد لذاته بحسن ما اتاه
 من الافعال . الارادة تمسك بالضروري والمفيد ، فتلقي فيه سعداء .

عذيب الارادة

كل يوم يشمر بتأثير السنة الخطيرة ، سنة الشغل ، الخاضع لها
 كل انسان . وفي كل ساعة يجب مقاومة تقلبات العقل ، وارتخائه
 وجوده الطبيعي ، تجاه سائفة من الابعاث . ولا يكتسب النشاط
 الادبي الا بالمراس ، والكتب والمطالع وامثالها لما يجرى الى الخير .
 واقتباس الطر خاصة ، والتضلم من الادب يتطلب من العقل مواصلة
 الجهد . فالمرء عارف اي جلد يلزمه للتصديق في «وضع من المواضع ،
 ولا تائهة بما يسبقه ، حسب قواعد ملائمة للانتقال من المبادي . الى
 النتائج ، ومن الوقفات الى اللال والسكن .

الارادة تثيب وتقرى بالخضوع للحكيم . على ان هناك
 اتوا شتى من الخضوع . هناك خضوع الجنوع والاستسلام ،
 خضوع الخالين من الحق ، خضوع العبيد العالمين خوفاً من العقاب ،
 خضوع التضايي المتخمرين . هناك اخيراً خضوع الابناء الاحرار ،
 خضوع العقلاء الراضين بالنظام ، فيقبلونه قبولهم دليلاً هادياً ،
 وحكيمياً ، ومنها ، يدير احوالهم واعمالهم . ان خلا الرجال من
 الهمة في كمولهم ، فلخولهم من الطاعة في حداثتهم . والذي يكون
 الارادة الحازمة والاخلاق المتينة اذا التمدد بوجولية للطاعة بجمرة .
 والاستقلال المبكر لا يبني المرء بل يدمه . والنظام لا يذهب
 بالنشاط . لان السيل لا يشتد قوة الا حين يضبط مجراه .

الارادة قوى بالمنافسة النبيلة - لان المنافسة توسع الاميال
السنية ، والاوهآ ، الكريمة ، ولا سيما عاطفة الشرف وعدم الرضا ،
بالقاء في درجة ازل من درجات التير . والشجاعة لازمة لاداء
الواجب ، وخصوصاً في محيط اغلب اهل خانو الزانم - وخشية
الجلد العقلي والادبي وباء ، متمش ، امرأه هيئة التشخيص ، وهي :
المعادن البطالة ، والمطامات الطائشة ، والتأهل في الشغل ، وحب
الاخلاق الى الراحة . لكن السبل المفروشة بالورود ليست بالمؤدية
في المسائل الاشده تقدراً ودقة . والاستنتاج بجملة ودون تميز ،
الى قم المحد . ولم يوضع قط اكائيل النار والانتصار الا على الهامات
المشجوعة ، والتأريع شاهد على ان كل الرجال العظيم كانوا ذوي
ارادة صارمة .

والامثلة على ذلك كثيرة لا تحصى . نذكر . منها بجل لينكولن ،
رئيس الولايات المتحدة . فان حياته تمثل عبة عن قوة الارادة . فقد
كان في سن العشرين خطاباً وعلماً ، في الحامسة والعشرين ،
صار محامياً . في الثلاثين ، مثلاً ولايته في مجلس الشيوخ . في
الاربعين ، انتخب مفوضاً في النقوة . في الخمسين ارتقى الى منصب
الرئاسة في الولايات المتحدة . في السادسة والخمسين مات قتيلاً .
فأرادته قلعت العقبات الفاسقة في طريقه ، وهي الفقر ، والجمل ،
والاوهام ، والحرب ، والعبودية . فدخل في الحيرة . في باله .
الاستعداد الجيد .

القدرة على الجهد هي مقياس قدر الرجال . واصحاب التصلب
منهم والمناد هم الفلاحون . حتى يكسبوا يكون سر القلوب
الكبيرة النبيلة في هذه الكلمة « سوف اثبت » او في مثل هذا
الشعار : « امان اجد في طريقاً ، واما ان اشق في سبيلاً » .

عذب العقل

ان العقل السليم سيد الحياة البشرية . وتهذيبه قائم على منعه ،
بالدرس والتفكير ، ذوق الحق وتقيده - يضاف الى ذلك الثقة
والحاذقة لمعرفة الجواهر الخاطئة ، والنور من الاقوال النارية . من
المعاني ، والصيغ الفاضلة المظلمة . مما يدفعه الى التسلك بعروة الحق
المنشرد ، والسعي ورأ ، الطرق الموصلة الى الفوز به تلاكه .

وهذا التمدد ، تمهد العقل ، متوقف على امرين : الاحتراز من
الضلال ، وتقوية الاستقامة الطبيعية . وللاصول على ذلك ،
ينبغي اجتناب الاوهام ، اي الاراء القوية دون فحص ولاتدقيق ،
كما يمكن صدوره عن البيئة المائيلة ، والتربية ، او من مذهب عقل

الفرد . ثم التهور الحامل صاحبه على ابراز احكامه أنباء ، قبل البت
استناداً الى ادلة ناقصة ، او استنباط نتائج عامة من حقيقة خاصة ،
او نتائج غير منطقية من حقيقة عامة . ثم تواتي الروح الدافع المرء
الى اغتيال تحري الاور بذاته ، وتلقي الاراء على علاها من قبل
من يحبههم ويحبهم . او الى رفض بعض المذاهب لهيودها
عن بغر من طيهم . هذه كلها علاات ضيق الفكر ، او قلة الذكاء .

هناك كذلك شيء من الاسباب الادبية . منها الانانية التي
تفري المرء على عدم الاتقاد بنطقه ، فيصر على رأيه الفاتل ، مع
وضوح وصوابية الرأي الخالف . فيتشكك به لكونه رأيه ليس الا .
هناك ايضاً الجهل المبرز المحكم دون الادلة الكافية . هناك الافتراض
الشخصية ، والاهواء المنحرفة ، والبيئات الاجتماعية ، والماديات
السائدة ، والتصب الاممي وروح الحزبية .

ومما يؤثر على تهذيب العقل ، ويقوي فيه الاحكام الصائبة ،
هي العلوم على اختلاف انواعها . منها الرياضيات ، وهي دروس عملية
للنطق . لان حل مشاكلها قائم على وجود مناسبة ، وايجاد حكم ،
بما يميز العقل بمخافة الاستقامة المتطلبة دقة التعبير ، والجدل .
والعصا ، والقياس . منها التاريخ ، المفيد ايضاً ، لان من تعليمه
تشخيص وضاعة عجيبة لاقوالهمية . فيه تعرض الاسباب ونتائج
الوقاات وتسلسل المنطقي ، وفيه ابداء الاحكام على الحوادث
وابطالها . فتشجب الرذيلة ، والدناءة ، والقسوة ، والجور ، وتعلم
الاعمال الشريفة ، فتستنبط منها القواعد والاحكام لسير الحياة .
منهم علم القنات . فانه يساعد على نظام الروح . ومن فروعه الترجمة
بنوعها ، لما تستلزمه من الانتباه المتصل للتعبير عن ادق فروق
الفكر . كما جعل مترجمة مقابلة للتفكرات . ومنها الفيزياء . فانها
تلمهم عادة المشاهدة وانعام التفكير . وبها يتكون الروح العلمي
الذي هو استعداد دائم للارتقاء من الرواة الى علتها ، ومن الخبرة
الى المبدأ والسنة . منها الفلسفة . فهي جزيلة النفع لانها ، وتوسيم
الحكم الصائب . فتقوّد المطق تعلم العقل تدبير ذاته تدبيراً أميناً
في شبل التحري من الحق . وتزوّد بالوسائل اللازمة لاوقوف على
المسقطات ودحضها . والقياس آلة مهمة فاعرة للبيان والنقد ،
ورياضة حسنة للتشقل ، ووسيلة عجيبة لتفكير في قدر الاشياء . وكشف
بطلان التخييلات والاهوام .

الادب مرصم في الرومسي

الافرس



صفحة من تاريخ ادبيات اندلسيات



الاندلس دون منازع ، ومن منظورها - وقد خرجت مع نساء الى
واد ، نهر منقسم الجداول بين الرياض ، فنضون قياهن وسبحن
في الماء وتلاعبن :

اباح الدمع امراي براد به الحسن آثار براد
فبهر سرور بكل دوش ومن دوش براف بكل واد
ومن به الظلماء ما الى ميت لي ولقد ملكت فوادي
لما لحظ ترقده لاسر وذاك الامر يتجني رقادي
اذا سدت ذرائها طيبا رأيت البدر في افق السواد
كان الصبح مات له شقيق فن حزن تسربل بالسواد

وهمهن « عائشة بنت احمد القرطبية » ، لم يكن في زمانها
من حرائر الاندلس من يعدها ادبا وقها وشرا
وفصاحة . دخلت على الملوك ومدحتهم وتوفيت
غفرا سنة ١٠٠٠ . وابن سيد الرحالة يصفها في
كتابه المغرب في اخبار المغرب « بانها من عجائب
اوانها ، وابو عبدالله الطيب عها ، ووقيل انها
اشهر منه لحاز » . دخلت على المظفر بن المنصور
ابن ابي عامر ، وبين يديه ولده فارجلت :

اراك الله فيه ما تريد ولا برحت ساليه تريد
فقد دلت مغايه على ما نوسله وطالته السعيد
وكيف غيب شل قد نته الى اللذا ضراغة اسود
فصوت تراه بدرا في مياه من الحل كواكب الجنود
فاتم آل عامر خير آل زكا الانباء منكم والجدود
وليدكم لديرأي كشيخ وشيخكم لديرأي حرب وليد

حضارة ما لم تبلغ مبلغ الحضارة في انداسة ، ايام
سرت فيها الروح الترية وتدفقت بحيرتها عطية
ومبدعة .



ولسنا الان بمعرض الحديث عنها . ومن الزاوية ، هاتفا يؤد إن
نضع تحت نظر القاري اخبار طائفة من ادبيات الاندلسيات فتمت
عنهن هاتيك الحضارة وتأنقت في انشائهن . على اثنين يقفن الاحصاء .
لو اردناه ، ويكفي ان نعرف انه كان في احد ارباض قرطبة عصر
عبد الرحمن الناصر مائة وسبعون امرأة يجودن الادب والانشاء ،
منهن زوجة قاضي « لوشة » Ishaq « احدى مدائن الاندلس ، برت
العلماء في معرفة الاحكام والنوازل والاقضية .

حتى لقد كتب اليه بعض اصحابه يداعبا :
« بلوشة » قاض له زوجة
واحكامها في الوري ماضية
فيا ليتني لم يكن قاضيا
ويا ليتني كانت الفاضية

فارجلت بديهة حين اطلعها على الايات :
هو شيخ سوء مزدرى له شبوب عاصية
كلا لمن لم يشبه لسفن بالناصية
ومن مشهوراتهن « حدة » ويقال لها
حدونة بنت زياد المذنب من وادي « آتش »
guadix « احدى مدائن الاندلس . قال ابن
القرني في نفع الطيب هي غنساء المغرب وشاعرة



ومنين « تزهون الترانطية » من اهل المائة الخامسة ، وصفا صاحب السبب « بجنّة الروح والانطباع الزائد والحلاوة ورواية الشعر والاثال ، مع الجال الفائق والحسن الرائع » . حكى انها كانت تقرأ على ابني بكر المخزومي الاعشى ، فدخل عليها ابو بكر الكندي فاحذقها فحلق فقال يخاف من المخزومي :
لو كنت تبصر من نجاله

فاحم وطال الفكره فما وجد شيئاً ، فقالت تزهون :
لندوت اعرض من خلاله
البدد يطلع من ازرقه والقصن يرح في خلاله

ومن شعرها :

له در الياسي ما احببها وما احببت منها ليله الاحمد
لو كنت حاضراً فيها ولقد غفلت حين الرقيب ظم تنظر الى احد
ابصرت شمس الضحى في ساعدي قر بل دم خازمة في ساعدي اسد

ومنها « قسمونة بنت اسماعيل اليهودي » وكان ابوها شاعراً وعني بتأديبها ، قال ابن المقري ، وربما صنع من الموشحة قصاً فأنحتها ، قال لها ابوها يوماً اجزي :

لي صاحب ذو ججة قد قابلت منها بظهر ولست جرحها
فقلت :

كالمس منها البدر يبين لوره ايداً ويكف يهد فذلك حرجها

فقام كالمشعل وضها اليه ، وجعل يقول اناساً ويقول انك
والشر كلت ، اشعرني . . . ونظرت في المرأة فوافقت جالها
وقد بلغت اوان الزواج ولم تتزوج ، فقالت :

ارى روضة قد حان منها قطافها ولست ارى خدّاً يد لها يد
فواسفاً يعني الشهاب ضيقاً ويبي الذي ما ان اسمه مفرد
ومن قولها في طلبه كانت تحت يدها :

يا غيبة ترمي بروض داني ابني حكينك في التوحش والحور
اسى كلانا مفرداً عن صاحب فلتصطبّر ابداً على حكم العدد

ومن مغامر الاندلس « ولادة بنت المستكفي » قال ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة « كانت ولادة اديبة شاعرة جزة التول حسنة الشعر تناضل الشعراء وتساجل الادباء وعموت ولم تتزوج

توفيت سنة ٤٨٠ . وكان ابوها المستكفي قد بايعه اهل قرطبة لما خلصوا المستظهر ، وكان خادماً ساقطاً وخرجت هي في نهاية من الادب والفنظ ، حضور شاهد وحرارة اوابد وحسن منظر وغيره ، وحلاوة مورد وصدور . وكان مجلسها بقرطبة مستدي لاجرار الصبر ، وفنارها ملياً بخياد النظم والنثر . يشو اهل الادب الى ضرة غرتها ، وينتال افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، فحلق ذلك بلو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة اتواب ، وفيها خلع ابن زيدون الصذار ، زارسته يوماً فلما همّت بالانصراف انشدته :

ودع الصبر محب ودك ذائع من سره ما استودك
شرح السن هل ان لم يكن زاد في تلك الحق اذ شيلك
يا اخا البدر ساء وسى حفظ الله زماناً اظلمك
ان يطل بك ليل فلنك بت اشكو قصر الليل بك

وارسل اليها ابن زيدون يوماً هذه الايات :

الا هل اليساعد هذا التفرق سيل ، فيشكو كل صبا لامي
وقد كنت اوقات الترابور يا شانا ايبت هل جر من الشوق محرق
فكيف وقد اسبغت في حل بوية لقد هجل المدهور ما كنت انمي
قر الليالي ، لا الصبابة تفضي ولا الصبر من رق التوق ستمني
سعى الله ارضاً قد عدت لك مزلماً بكل مكوب فاطل النول سمدق

فاجابت بقولها :

لما انه يوماً نست فيه نلتقى عيناك من اجل النوى والتفرق
وكرب بيت ايبت دون مسرة واي سرور للكعب المورق

وكتبت اثناء الكتاب « وكنت ربما حثثني على ان انهبك على خطا اجلك عنده واني اخذت عليك قولك :
في الله ارضاً قد غدت لك مزلماً

فان « ذا الرمة » قد انتقد عليه قوله مع تقديم الداء ، بالسلامة :
الا يا اسلمي يا دار هي على الليل ولا زال نيلاً يجرءك الفطر
اذ هو اشبه بالداء على المحبوب منه بالداء له ، ولكن المستحسن قول الآخر :

لغنى « ديارك خير مندها صوبه الريع ودية صي



حول اصلاح التعليم في لبنان

بنعم

الوفد روز غريب

*



مرّ علينا سنتان او اكثر ونحن نضع الخطط لاصلاح التعليم في لبنان . وهذا التخطيط - وان كان لم يخرج بعد الى حيز العمل والتطبيق - هو بلا شك بادرة خير ومساعدة امل ورجاء .

لكن الذي نلاحظه على هذه الخطط انها اولا ضيقة المدى لا تمتد الى اصلاح المناهج وانه يعوزها الشمول واتساع الافق . ثانياً انها غير مسترشدة دائماً بروح العلم، روح التجربة الحولية والتفكير من الماطقة والتميرات الشخصية ولعل هذا هو السبب الاسبق في فشلها .

ولنترك النقطة الثانية محل مشكلتها ايمان ولنبعث في التفتة الاولى . لقد كنت اتساءل - كما سمعت بحركة اصلاح المناهج - لماذا تثار هذه الضجة حول المناهج ولا تثار حول امور لا تقل اهمية . وارتدت ان اسأل القارئ بالحرارة: تريدون اصلاح المناهج وهذا ضروري ولكن هل عندكم ممولون يطبقونها؟ هل عندكم كتب تدريس صالحة؟ هل عندكم مدارس ؟

واذا لم اعمم جواباً حاولت الجواب بما في استطاعتي .

اولاً : هل عندنا ملحدون ومطبات ؟

من صفات الاميركيين المستحسنة ولهم بالاخص . ولينأخذ منهم بعض هذا الميل فنقوم باحصاء المعلمين والمطبات في لبنان لنعرف عددهم واصنافهم ودرجاتهم ونطرح عليهم مثل هذه الاسئلة التي تطرح على محترفي التعليم في باقي اقطار العالم : لماذا احترفت مهنة التعليم؟ اأنت من حملة الشهادات وما نوع شهادتك؟ هل تخصصت في التربية والتعليم وما هي وسائل غرك للمعني ؟ قد لا يكون من الجواب ان نملي اجوبة جازمة ولكن الرجاء

اننا ان نخطئ . اذا قلنا ان القسم الاكبر من محترفي التعليم عندنا - واكثره ابتدائي - انما يحترفونه حين تسد في وجوههم سائر ابواب الارتزاق لاسباب اهمها ضعف في التثافة او قلة في الكفاءة الشخصية . ومن الاخطاء الشائعة ان ايأ كان يستطعم تعليم الاطفال والاولاد . والواقع ان لتعليم الابتدائي من الاساليب الحديثة بما يجعله عملاً مقدماً لا يستغني عن التخصص .

ان الجهد الوحيد لاعداد المعلمين عندنا هو المعهد الحكومي الذي يحضر لتعليم الابتدائي وينقسم الى دار المعلمين ودار المطبات . ولكن ابي جزء بالية من معلمينا ومطباتنا تنفقوا في هذا المهد؟ انه يحكم الطبع جزء ضئيل وليس من يجهل ان منسات من معلمي المدارس الابتدائية والمتوسطة - وحتى الثانوية - لم يحصلوا على اصغر الشهادات المدرسية ، اما لانهم قالوا مراكمهم بالوساطات - وهم العدد الاكبر - او لانهم قدما . وعلموا قبل ان تنظم في البلاد شهادات وقوانين مدرسية .

واكبر شاهد على ضعف الهيئة التعليمية في لبنان انها - رغم كثرة المدارس عندنا بصورة نسبية - لم تتمكن من اصدار مجلة واحدة تربوية ، وانها وهي الطبقة المثقفة ورجا الاكثر عدداً (١) بين طبقات اصحاب المهن لم تتمكن من تأليف نقابة في حين ان الضباطين والحقائق والطهاة نقاباتهم ، فضلاً عن المحامين ومحري الصحف ومستخدمي الصناعة والتجارة .

وقد حاول بعض القائمين بشؤون التربية عندنا ان يحصلوا على احصاءات وتقارير واقية عن حالة التعليم في لبنان فلم يجدوا في وزارة

(١) في لبنان مائة ألف طالب وطالبة ووفق ١٥٠٠ مدرسة وعددها المعلمين لا يقل عن ثلاثة آلاف اذا حسبنا العدد اثنى في كل مدرسة .

الكفاءة الحقة .

تقسم هذه الكتب الى قسمين : كتب العلوم (الرياضيات والاشياء الخ) وهي قليلة وغالباً منقولة عن اللغات الافريقية فهي لذلك افضل حالاً من غيرها . وكتب اللغة (قواعد وقواعد) والتاريخ والجغرافية ، وهي التي لا تزال في حالة نقص شديد وإن ذكر بعض وجوه نقصها :

ان معظم كتب القواعد المشتملة في لبنان لا تزال قديمة الاسلوب لا تختلف في موادها واساليبها عن كتب القرن التاسع عشر . فمنه نفخر الى كتب قواعد حديثة الطراز تسهل القواعد بالتبسيط والتوضيح والاكتسار من قنارى التطبيق وتحذف النوافل وتزيد مواضيع اساسية هامة في الانسان والسياسة . ولا ننكر ان هناك محاولات لا تزال برعية ، ولا ندرى ان تكون مما يسد فراغاً ام لا .

كتب القراءة ، منها ما يحتوي التعلم الركبيكة الباردة او التي يعوزها الفرق الادبي . ومنها ذات القطع القديمة الاسلوب الوعرة الانفاظ والضيعة المادة . ومنها التي يعوزها التاريخ والشروح والاستئلة المصرية الذبح او تنقصها الصور المناسبة ذات اللون الحلي . ومنها ذات المواضيع البالية او المعاني الخاطئة . ولا ضرب للمثالا يدل على ذهنية بعض المؤلفين : في كتاب قراءة حديث للارلاذ حكاية طفل مريض « واه تبكي وتقول لطبيب اني اوت اذا طال مرض ولدي » وفي وصف الام مظهر ضيف لا يفسن عرضه على الاولاد الذين زيد تشبثهم على رباعة الجاش . فضلاً عن ذلك نجد بين كتب القراءة ما لا يتخلو من دعايات مذهبية ونحوها .

وهناك كتب التاريخ والجغرافيا التي تنساق اكثر من غيرها لاصناف الدعايات وهي فوق ذلك شديدة الانتقاد الى الطريقة العلمية يطلب فيها اسلوب الحكايات والاساطير وتكثر الاخطاء والمقالات . هناك غرضاً من الاساطير في كتاب تاريخ (تقور تدرسه في المعاهد الرسمية حسب قول المؤلف) : « الاشوريون ابناء اشور بن سام بن نوح » ا « القوس قوم يافثيسون » . « بنى روموس اول مولكهم مدينة رومة » « في الجيل الثاني للمسيح » بدل « القرن الثاني » . « الملكة زنبب » بدل « زنبوبيا » . « اول من غزا سوريا ولبنان ملوك بابل الكلدان » . « والواقع ان الكلدان جاءوا بعد الاشوريين » . « فلسطين اخضع بها الانكليز ليقوموا بوعدهم لليهود باعطائهم اياها وطناً قومياً » ا ومن ركافة التعير :

المعارف ما يصح الاعتماد عليه ولا استطاعوا الحصول على بيان واضح بالقوانين المتلفة بالمدارس والمعلمين التفتيش وعلاقة الحكومة بالمدارس الخاصة والاجنبية . وليس هناك قانون يفرض على الاحداث اللبنانيين درس لغتهم فتجد في المدارس الخاصة الابتدائية اطفالاً واولاداً يملكون الجنسية اللبنانية ولا يدرسون العربية . وليس في اقطار العالم المتبدن من يقبل توظيف معلمين ومعلمات من غير شهادات مدرسية ولا امتحانات الاحكومة لبنان . فالرواسلة هي الشهادة والامتحان .

في فلسطين - وهي قطر حديث في تنظيمه الثقافي - لا يقبل للتعليم في مدارس الحكومة الاحاملا الشهادة التعليمية وان قبل غيرهم من ذوي الشهادات العادية فرضوا عليهم تقديم امتحان بيداغوجي في خلال مدة معينة . وباب الترقية مفتوح للمعلمين بصورة مستمرة ولكن على اساس الامتحان فقط وهو قانون جدير بالاعتبار لانه يستهدف حل المظلم على النمو المستمر والاتصال الدائم بالحرسة العلمية والتطورات البيداغوجية في العالم مما لا بد منه لكل مدرس لتلا يتعرض للجمود والتجمد الفكري .

انه جدير بلجان الاصلاح ان تقوم باحصاءات دقيقة من حالة المعلمين والمطاف في مدارس لبنان من حكومية وخاصة ، لي عين شهادتهم ومؤهلاتهم وكفاءاتهم ، وقد ان تفرض عليهم المناهج الجديدة ، ان تفرض عليهم وسائل الدرس والتميز لانهم يدربون لا يستعملون تطبيق المناهج ولا يستفيدون منها . وحينئذ يستطيع تنظيم سلسلة من امتحانات الكفاءة التدريسية تعتبر وحدها وسيلة للتشخيص وسيلة الترقية والتصنيف ومن لم يجزها بنجاح يصبح عرضة للصرف بعد مدة محدودة .

تبقى مسألة زيادة دور المعلمين الابتدائية وانشاء دار تلمهم للتعليم الثانوي وارسل بثبات الطالاب الى الخارج للتخصص في التزيين والعلوم واللغات وهو موضوع كثر الحديث عنه فلا نموداليه ثانياً : هل هذا كتب تدرسي ؟

قد تكثر على المعلم الكلفة ولكن اندومنه وجوداً الكتاب المدرسي الصالح . ومعنى هذا انه اذا جمعت المعلم الضعيف والكتاب السيء الحال - وكثيراً ما يجتمعان - فهناك الطامة الكبرى .

ومعنى هذا ايضاً ان المعلم الذي يستعمل كتب التدريس العربية عليه وظيفة مضاعفة : القيام برواجه كعلم والاهتمام بتعديل كتب التدريس وسد نقصها ولهذا يجب ان يكون من ذوي

« تقارير اللجان الموجلة درس مشاكل هذه القضية ». « بنى المساجد الدينية » ومسوف ان المسجد ديني . ومن الاقوال الجارفة : « كان الفاسطينيون اولاً ضغفاً لكنهم تقروا مع الاليم » كيف ، لماذا ، انها « الاليم » .

اما كتب الجغرافية فينتصها الخرائط الحسنة الدقيقة الصنع والاحصاءات والكشوح والصور . اي ينقصها اهم « واحد » ومعظمها ذات اسلوب غير علمي جارف التعبير .

« اصبح لسليم عدد لا يستهان به » اي مدد ، « في لبنان عدد كبير من الصحف » ؟؟ مباد لبنان تنقي الدم وتشفى من الامراض « وهو من نوع كلام العامة : وتقرأ في مكان آخر : « وهي مقر آل ... زعماء جبل عامل » « وهي مقر آل ... زعماء الشيعة » ألا نزال في عهد الزعماء الوهمية المبيلة على الانساب ، حتى في كتب الجغرافية ؟؟

ومن التحديدات الساذجة المخطئة : المستعمرة بلاد فلانها حكومة غربية . ، وايضاً : الاديان قسبان قسم يعرف اتباعه الاله الحقيقي وقسم لا يعرف اتباعه الاله الحقيقي . وهو تقسيم خاطيء . يرجع الى العصور الوسطى . ومثله تقسيم اجناس البشر حسب الوانهم ...

اما كتب المطالعة - لا سيما مطالعة الأطفال - فاشتهر اشكالها فيها على الكتب المصرية وفيها التث والسمين وفيها الحكايات المنقولة عن العرب بطريقة مشوهة او بعبارة وعرة ومع ذلك فهي حكايات للأطفال : هذا ونضرب صفحاً من كتب الاناشيد وما فيها من نقص .

الا يرى ارباب الاصلاح انه يجدر بهم الالتفات الى فوضى الكتب

مكتبة صادر

شارع النبي - بيروت

تقدم للقارىء ، العربي آخر ما اخرجته المطابع

بأشأن متباددة

ترودوا منها كل ما تحتاجون اليه في مطالعاتكم

والسعي لحذف الركيك والضعيف والمشرع واصلاح ما يمكن اصلاحه وابتعاد شيء من التلازم والانقسام ؟ الا يرون ضرورة تأليف اللجان لتأليف والنشر والمراجعة والتشذيب ؟ هذه ايضاً نعمة قديمة ولا ندري متى تلاقى آذاناً مصتية .

ثالثاً : هل حذرة مدارس ؟

يؤخذ من احصاءات تقريبية ان عدد مدارس الحكومة ثلاث مئة وست ابتدائية يضاف اليها دارا للملحين والمطالعات . اما باقي المدارس وهي نحو الف وثلاث مئة فالقسم الاكبر منها ارسالية اجنبية (فوق الالف) والقسم الاصغر طائفي اعلى (١٣٦) .
« هنا زى اتنا في الناحية الجنوبية من حياتنا الاستقلالية لا تزال عالة على الاجانب نعتمد عليهم في بناء اسس الاستقلال »

ان لكل من مدارسنا المتنوعة مشاكلها وصوبها . فالفرنسية - وهي تؤلف اكبر قسم منها - يهيأ في الدرجة الاولى تحضير الطلاب للشهادات الفرنسية . وقد تقعر في مناهجها الخاصة المنهج اللاتيني وحينئذ يضطر الطالب الى درس ثلاث لغات ويضيق مرفقاً بمنهج مزدوج بكتفه ما لا يطيق .

والمدارس الديرية قد انحلت لنفسها منهجاً خاصاً لا هو بالاميركي ولا باللاتيني وتصرفت به كما شئت فلا تعيد بانها عانت رحمة ولا بشهادات حكومية وانما تريد في بلبله المناهج .

والمدارس الطائفية والاهلية تتميز لهذا الجانب او ذاك وتراجع بين فريق وآخر لكنها تتفق بصورة عامة على بذل التعصب الطائفي ونجاحها في ذلك غير قليل .

يبقى مدارس الحكومة واكثرها قابلية في القرى وكانها تعيش على هامش الحياة التعليمية .

أليس على أولي الامر ان ينظروا بأسرع ما يمكن في مشاكل هذه المدارس وما يجب اصلاحه فيها ثم ان يجددوا مدى تصرفها في شؤون التعليم ومقدار تعديدها للمناهج الرسمية ويروا ما يجب القضاء عليه من ترعاتها وانحرافات ؟

ان هذه المسألة السريعة في حالة المدارس والمعلمين والكتب تربينا ان هناك عللاً اساسية تجب مداواتها وان الاصلاح يجب ان يسير أعين مما يظنون وأبعد من المناهج . فان نحن اغفلنا هذه التراخي الهامة كنا كمن يداوي الصداع بالمسكنات حين يكون سببه دمامل في الرأس .

روز غريب

من اعلام النهضة الفنية

بطرس روبنس

بلم مصطفى فروغ

استاذ الرسم بجامعة بيروت الاميركية



منذ ايام اجلس الى بعض الاصحاب نتبادل حديث الفن، وقد سألني احدهم عن مدة دراستي الفنية في بلاد الغرب، وحينما علم انها بامت ثمان سنوات على الرغم من توفير سنتين، دهش وقال: «أبقتني عشر سنين لنوال شهادة الترخيص؟»

اجل يا صديقي، ان الدراسة الفنية الحقة بحاجة الى اكثر من هذه المدة، وهذه الشهادة ليست سوى بدء الطريق...

وصديقي هذا على حق في دهشته، فحينها، نعرف عن الفن ومراتبه ومقتضياته الا القليل، نحن ندرك ان المرء لكي يصور بكفائه قلم وورقة وشي من المهارة وانتاج الكلام المنسق واخيراً بعض الحركات وقعدة رقيقة منتخبة ثم طاعة الشمر

بل اي شيء. هنا يتطلب التمتع في التفكير والتضلع في البحث؟ انه يكفي معرفة سطحية للاشياء وكثير من ذر الزاد

والانكاس اشخصية ما، والكثير الكثير من البهلوانية... ومن ثم فانت فنان نابغ وعالم فخر واديب كبير وزعيم خطير ووطني مجاهد.

والحق ان المتن البهجة هنا يصبح مزجياً بضيق بالناس وبضيق الناس به، فنبشاً للجاهلين اللامعين!

وقد يتبادل احدهم ويقول واين نحن الان من روبنس موضوع البحث؟ فاجيب انه حين نبش موضوعاً فنياً انما نتجه به ناحية قومية واتجاهاً اجتماعياً لانه لا يهتنا من الفن وتاريخه الى حد كبير - الا

بقدر ما يقدمه من أثر في حياتنا الحاضرة واصلاح مجتمعاتنا، فنحن امة بحاجة لاجتلاب الفائدة مما غارسه من شتى العلوم والفنون ووقفها كلها في سبيل اصلاح نبضتنا، ذلك الاصلاح الذي ينتجه به البعض ويا للأسف في سراديب الاغراض الشخصية والشهوات الباردة.

لقد علمتنا الحوادث ان الكثرة الغالبة عندنا تفهم ان الفن حرفا كذلك الحرف المادية بمحتاها المحدود، ليس الفكر اثر فيه ولا للثقافة مكان، انما هو عمل يدوي فحسب، ولكي تزيل من للاخوان هذا الاعتقاد الخاطئ فاننا تقدم الآن فناناً، وهو مثل كثير من هؤلاء، وهو في عالم الفن كما عرف في عالم السياسة، وكانت له يد طويلة في كليهما وهو الفنان الأشهر بطرس روبنس زعيم المدرسة الفلمنكية.

وقد اشتهر بفته وثقافته وبعد تفكيره واجتماعاته بهما. عصره وادبائه وكان على اتصال دائم بالحركة العلمية والثقافية فكان موضع احترام ارفع الطبقات المعاصرة من عليية والملكية تباردي في دعوته اليها فكان طوراً في بلاط امير (متروا) الايطالي وحيناً في بلاط مدريد ثم في بلاط سان جيمس بلندن ثم في باريس وبلجيكا وهولندا وغيرها من الدوامم الاروپية يومذاك.



بطرس روبنس

ابصر هذا الفنان النور عام ١٥٧٧ في (سيجن) من اعمال (وستفاليا) في جو مظلم يضطرم

بالحوادث السياسية والتطورات الدينية والانتقالات الاجتماعية . وكان اقليم الفلنك يومئذ خاضعاً لحكم اسباني مرهق اضطر الكثيرين من اهل البلاد الرحيل والالتجاء لختلف البلاد الاوروبية للتخلص من الجور الاسباني ، ومنهم والد روبنس الذي رحل بعائلته الى بلدة (كولونيا) حيث ولد فناننا . وقد عادت به امه بعد وفاة ابيه الى (انفرس) وكان بلغ من العمر عشر سنين حيث التحق الصبي بـ رسم ابن عمه بضع شهور ثم تركه لرسم فنان آخر يدعى (فاينوس)

وقد تركه فيما بعد الى البندقية حيث تعرف الى الدوق (مانتوا) وعمل عنده ثم زار فلورنسا ودرس رسومها بحيث نور الفن ويحلى الهامه وهناك اتبع له ان يحضر زواج ماري دي مانتوي بـ تلك فرنسا . وبعد اختلاط الدوق بـ روبنس هذه المدة لمس فيه رجاحة النقل وحسن السياسة فبعث بهمة الى ملك اسبانية مزوداً اياه بالهدايا الكثيرة .

وقد تزل عام ١٨٠٦ على طلب الارشيدوق البير في بروكسل ليكون رسام البلاط على ان يقيم في بلدته الاصلية (انفرس) حيث تزوج في السنة التالية من زوجته الاولى (ايزيلا) وقد

استقر لمدة يعمل في التصوير فقدم لنا جملة صور رائعة منها صورة لزوجته وصورته (والسيرة سقاء الحمر) وصورة (رفع الصليب) و (التزل من الصليب) وهذه من الروائع العالمية حقاً وتمتد في طليعة الرسوم المحارفة في هذا الموضوع . فصورة (التزل من الصليب) تمثل فاجعة انسانية اضطربت لها السماء والارض وكل ما في جو اللوحة يبرز الى فاجعه عظيمة ولم شامل ، فالجزر مكفهر ينذر بعاصفة هوجاء في الافق البعيد تلمع بعض لمحات نارية تم من شفق دام وجسد السيد الكرم يبدو متواخياً متلاشياً غير ان في وجهه كل معاني الروح والامل والايمان والمثل العليا ، وفيه التضحية

عن رضى وحب وفيه الاطشنان والافتقار بحال الفكرة السامية التي يحملها بينا يبدو الاحياء والجسد على وجوه الرجال المحيطين بالجسد المتدلي مما يعيب بنا لموتهم على حله ، وهذا القتل البادي على الجسد يريدنا القنسان ان ندرك ان الفكرة التي يحملها السيد الكرم عادت هذا الجسد المادي وظلت مرتقمة سامية تتألق بجانيها العلوية لا يسا دنس هذه الارض يشي دنائها .

ان روبنس قد وفق اقصى التوفيق في ابراز فكرته فهو في هذه الناحية التي وزميلة ده فنتي عالم النفس الجبار .

ولا بد من الاسراع الى حالة النسوة الثلاث ومنهن الدماء التي ظهرت الفاجعة عندها في ابد صورها وحلودها . هي الامومة المصابة في اعز ما غلك وارق ما تطاوي عليه ظاهرها من حنان ورافة والتبايع .

ان روبنس بين لنا في هذه اللوحة ، بل هذا العالم التام ، من مكان ثلاثة جمال التضحية المطلق ودومة الحنان الصادق في قلب الام ثم بروحة المحيطين به مشال تبذل العالم العادي المأخوذ بمآذل الحياة الدينية وصغارة اشياها ، تلك الاشياء التي يتكالب عليها من لا يدرك من مثل المسيح وانه

الطاهرين ذاك الصبر العميق وتلك الرقة المتناهية في دنيا الحب والرحمة والحنان .

ولكن روبنس قد تزوج ثم فذره الى السياسة ولذلك حرمانا فيما بعد من مشاهدة امثال هذه الروائع الانسانية السالية وزحمته متطلبات الزواج وطالب السياسة . لذلك راح يستعمل تلايذه في انجاز صوره مكتفياً هو بالنسبة الاخيرة فأنشأ مضمناً في (انفرس) لصنع الصور الشاسعة فلأ الدنيا صوراً كبيرة وأثارتها كبيرة فحسب .

وفي عام ١٦٢٢ طلبت اليه ماري دي مديتي لـ ملكة فرنسا التزل



التزل من الصليب

لديها لكي يزين قصرها حيث لا تزال تلك القاعات العظيمة تثير بالونها البراقة اليرم دعات قصر (الوفر) وكانت الثانية ،نمها رفق شأن أسرة مديتي واظهار اعجاب زوجها هنري الرابع وهيامه بها .

في هذه الاثناء استدعته زوجة الارشيدوق البر سيد بلجيكا الذي توفي ، لكي يكون مستشارها في بروكسل . وكانت ترمي لوضع اسس لسياسة اوروبية جديدة على اساس محاطة صداقة بين هولندا واسبانيا وانكلكره وعزل فرنسا عن تلك الكتلة ، وقد قابل روينس الدوق بكنهم احكام الحقيقي لانكلكره يو.تذموا كانه الاتصال بحكومة اسبانيا للضغط على فرنسا التي كان يدبر دفة سياستها وقتئذ الدوق ريشليو . قصد روينس مدريد وصور الملك فيليب الرابع الذي اوفده بدوره الى انكلكره وهناك رسم الملك تشارل الاول سنة ١٦٢٦ ووضع اساس الصلح بين انكلكره واسبانيا . وقد دشّن هذا العمل بلوحة مزينة جميلة تدل على لياقة وحكمة قدمها هدية للملك انكلكره وهي : (بركات السلام) تحمل ،نيرفا ربة الحكمة تدفع للحرب الى الزوال بينا السلام يستقبل اثرة والرفاء والازدهار وابناهما المبتجين .

وكان نجاحه السياسي هذا اغاظ بعض عثماني السياسة الذين لا يحبسون الانس والاذى ، وهو في بلاط لندن قد لاه : «هل» ولاى السيف بلهو احيانا بالتصوير ؟ « فاجابه روينس : «كلا انما المر في اوقات فراغي بالمفادة » .

وقد انعم عليه الملك شارل بلقب (سير) سنة ١٦٣٠ وعاد الى (انفوس) للانصراف الى فنه قائلا : «اني اعود الان الى الحياة الحقة » وبعد مدة توفيت زوجته فاعتكف في قصره منصرفا عن شئون الدنيا الى الزراعة والتصوير الذي بقي له الصديق الوفي الذي لا يندح ولا يؤذي . . .

وقد امتاز روينس بنضارة الزاونه وبساطة اسلوبه وانتاجه الوافر ونظام حياته وحبه للحياة والحيز وعشقه للجبال وقد خلق مدرسة له فجمع بين الفن الايطالي والفلسفي وخلق منها فناً فرض سلطانه على الفن الادرني خلال ثلاثة اجيال .

ومن «علمة روينس سرعة الرسم وقد امتاز بحبه للجاسم الكثيرة اللحم والتي يبدو اصحابها شرعين بينها الكون على موائد الطعام والشراب وقد صور الكثير من رجال التاب كوالمة الحمر وغيرهم من رجال الاساطير الاخرى .

وتدلنا هذه القراحت على ان روينس كان يحب الحياة والتنعم بلذاثها وقد كان مسرفاً في سبيل ذلك .

واني اختم مقالتي بكلمة لاحد النقادة يصنف رسومه الطبيعية اننا لا نجد في رسومه تمازاً بين العناصر بل نجد كل شي . يلع بالندى والرطوبة وفي الاشجار بهجة تشبه بهجة الاطفال السمان الذين صودم في لوحته الجميلة وقد قاءوا عن المائدة بعد ان شبعوا »

وقال نقاد آخر : «لقد قيل ان هناك مناظر طبيعية تهدى النفس وتسكنها واخرى تنشطها وتقربها ،ومناظر روينس هي من النوع الثاني فانه لم يكن يتصوف في نظره الى الطبيعة بل كان يقترب منها بلا هنية محدوه ثقة الرجل القوي الذي يحترم القوة »

وعلى الرغم من قيامه بعدد محالفات سياسية هامة كان لها شأنها في توطين السلام في اوروبا يو.تذ فانه في اواخر ايامه قد اظهر اسفه الشديد على وقت اضاعه في الاشتغال بالسياسة ذلك الوقت الذي كان من الخير كله لو صرفه في الانتاج الفني وكان كما قاله اسدي الى الألمانية خدمات اجل واجدى »

مصطفى فروخ



« ستر » سغة الحمر

هسة اسى

بسم عبد العزيز احمد

مدير كلية داروق الاول بيروت

اخي الكريم الاستاذ البير أديب :

قص على صديق امزه 'احاديث' كلها بئر الشجن وببث على
الاسى ' فقد تألبت عليه الاحداث في البعد الاخير ، وكأنها كانت
منه على مباد ، حتى تاه ، بجملها قائلته بالشكوى .
ولله وجد حزاء في ان يشغل بقول الفائل
ولا بد من شكوى الى ذي مروءة

يواسيك او يواسيك او يتوجع
اما انا فقد رأيت اشجانه مما يزيد هومي بد ان فاضت
الكأس ، فلم اجد بداً من ان تحفف من بعض ما حملني بالاضاء
اليك بلون واحد من ألوان كثيرة قافقة . . .
قال ، كان الله له :

عرفه

كريم النصر، نقي الجوهر، ذكي النفس ، كبير
القلب، عطرًا وفيا .

وشاهدته كثير الحركة جم النشاط ، دوماً لا يمل ، سامياً لا
يكل ، لا يقصر في واجب ، ولا يميل لقلبه . وهو فوق هذا دارج
الى الله وعالم في سبيل الله .

فيه من الشباب فتوتهم واقدامهم ومن الشيخوخة رقايم وجلالهم
ان فكر في مشروع او هم بأمر ، اطمأن له ، لا يني حتى
ينفذه ، ولا يستريح الا عند تمامه . يبدل له من وقته ، ويغده وقلبه ،
وما يلي عليه من مال ، حتى يظفر ببنيته ويصل الى غايته .

رأيت ذلك منه فاقبلت عليه واخلفت له ، مؤثراً باننا نتعاون
لتحقيق فكرة سامية وغرض نبيل ، لا نبني من ورائها الا رضى
الله وخير الوطن . زعمت من اجل ذلك في المنفعة العاجلة ودرغت من
التم المادي - وقد كدت ادركه - وفوت الفرصة السانحة - حين
عرضت لي او عرضت علي - وانا اعلم انها ان افلست من يدي فلن
تعود ، وكانت فوق ما احلم به لمستقبلي .

اضتها راضياً مطمئناً ، لاني اريد ان اكون وفياً لمن وثق بي
عظماً للبداً الاممي (الذي اعمل له رغم ما اتقاسي في سبيله .

اعرف اني اعيش في محيط خاص ، وتكتنفي ظروف قاسية ،
تتصارع فيها الرغبات والاهواء ، وتتفاضل المنافع والشهوات ، وان
منصات الحياة كثيرة ، ومتاعها لا تحصى ، واهونها كيد يكاد ،

وكلمة سوء . فقال ، تحت ستار مسن الاخلاص المصطنع والتيرة
المرغوبة .

أشعر ان الطريق ملتوية وبالعقبات صعبة والاشواك قد سدت
المسالك ، والذهاب الكثيف لا يكاد ينفذ منه بصيص . نورد مع
هذا فاننا صار مصابو ، احسب نفسي مجاهد مع المجاهدين وان كنت
في ظاهر الامر غاصداً

اتحمل الكثير من الزمجات في حياتي الخاصة ، هو الكثير من العنت
في حياتي العامة فلا اتى الى شيء منه كبير اهتمام ؛ وكان في التوسع
ان اترك هذا الجور المضطرب وان اخرج من ذلك المحيط الجائر ،
فيراخ حاقق ويطمن باغ ، وتسكن نفس قلقة ، واعيش انا قائما ؛
افاء الله علي من فضله ، وما جاني به من نعمته ،

ولكن - اني الانسان ان يفر ، وقد خدع نفسه باله مال مع
الامالين ، وان عليه قسطاً من تبة فهو باذل من ذات نفسه في سبيل
الخير العام ، ولا عليه ان قاسى بعض ما يقاسي المخلصون .

ارى من الرجولة الا انكث عهداً ، ولا أضحي ببدأ مقابل عرض
زائل ، ومن الحكمة تليب العقل على الهوى . واثير المنفعة العامة على
المصلحة الخاصة فضيلة . اعتد ان الوفاء للصدق تنضيه الرجولة ،
واحترام الانسان نفسه وقدره واجبه . وان الاخلاص للعقيدة يفرضه
الايان بالتمسكة ، والاقتناع بالرأي ، والرغبة في ادراك الهدف النبيل
والحرص على تحقيق المصلحة الوطنية

فلا أرضي ان اتألف لا كون مجرباً ولا أحدهم لا كون مغزواً ، ولا يعجبني الخراف ولا آخر ذويه . اقول ما اعتقده حقاً ، واخص النصح فيما اطلق اليه من رأي ، وادعو اليه اعتقده صواباً .

وقد وطنت الزم الا اشتري حطام الدنيا بالتخلي عن خلق ، او اهدار كرامة ، أو موت ضيق . فمن الواجب ان ادوس على الشوك ، ولو اذى قديم ، وان أكافح الظلام ، حتى تنجلي القصة وينجلي نور الحق فيبلغ الصراط المستقيم .

ذلك ذهب لن الخوف عنه وعقيدة لن أبداً .

لم نتحدث الى النفس بما خلق او بالباطل :

انك عشت سنين في بيته باتوتها ، عرفت تيارتها الخفية ، وانجهاها الظاهرة ، واست طرفاً من متاعها ، وتحسنت آمالها ، ورأيت دعة الحذر وجهادهم في سبيله ، وعناصر السوء وصراهم من اجله ، وضمت دومة الخاضعين ، وازعجت غيب المارقين ، وادركت حيرة قوم بين هؤلاء ، ولولئك . . . فقد ردت دقة المواقف ، وخطورة الواجب الذي دعيت له ، والامانة التي حملتها . . . فانك تقاسي الامرين في هذا الحضم المضطرب ، بسبب الوساطة التي تدبت لها - كما يقولون - والتي يدفعك الضيق والواجب - بزعمك - الى المحرص على ادائها مخلصاً !!

وما يزيد شقاءك ان يظن بعيد عنك انك سعيد حيث انت آمن في سربك ، مطمئن الى قبيلك . . .

الابست حالة يختلط فيها النعم بالشقاء . ويترج الحذر بالشر ، حتى لا يغيب بينهما الا القليل . . .

كل ذلك مما يميز في نفسي ويقض ضججي ويحلمي في حيرة من امري ، وتردداً بين الاثرة والابتذار . . .

فمن اليسر ان يبدأ الباطل ، وتطمئن النفس ، وينبأ العيش ، ان استجبت لداعي الهوى ، فلم افكر الا في شخصي ، ولم اعن الا بامري ، فقتت المسائل كلها بما تجلبه من نفع خاص ، انسى في سبيله كل شيء ، واضحي بكل شيء . الا نفسي وضميتي .

ولكنهم زعموا - وبأبش ما زعموا -

ان هناك ما يسمى ضميراً يمرض على المرء . تبطت في الحياة يجب التبرؤ بها ثم بالمرأ فتصورونا جنداً الوطن نذود عن حماه وندفع عنه ونضحي من اجله كل فيما هو بسبيله ، فمن تهاون فقد اجره ومن قو من الميدان فهو خائن . . .

كذلك زعموا ان النبي يقولوا . وهل هناك شك في ان بناء العقول عاؤه اشد من بناء الاجسام ، وربعاته فوق كل التبعات 117

لقد صور لنا الروم ، أنا مسؤولون عن ابناء . هذا الجليل ، فنحن مقصرون ان لم نعمل على تثبتهم نشأة قوية ، ولنصنع منهم رجالاً يؤمنون بحقهم في الحياة الكريمة ويعرفون واجبههم فيندفعون الى الامام على بصيرة ويسعون لادراك المثل الاعلى في غير هوان ولا تردد فهم شباب اليوم ورجال الغد ، الذين نلتق عليهم الاله .

وهم الدعامة القوية ، والاساس الثابت ، في بناء العالم العربي ، ولن يستطيع ان تقيم البناء وتوطد اركانه ، وفيك ضعف ، ولا ان تدرك ما تتمنى وفي قايك وهن وعزيمك خور .

العالم العربي في متفرق الطرق والكبان العربي يحتاج الى تدعيم والنهضة الضعيفة لا تتكون الا بالتعاون والتآزر والتضحية . وما انت ترى حولك ومن بعيد جماعة من المحاضرين قد تحالفوا على البذل وتعاونوا على البرء ، واقسموا الا يئثروا على ضمير ولا يتقوا حتى يستردوا الحق المسلوب ويبشوا مجدداً كاد يندثر .

وما هي القسافة تسبب فلا تكن من المعزتين ولا تتردد عن الاقدام ، لتطلع الطريق على العابثين وتفتت الفرصة على المشتبهين .

فعل كل فرد واجب وفي المجال . تسع ونكران الذات فريضة واحتمال الالم لغة ولن يكون خير الا ان ضحيت في سبيله ولا نعيم الا ان شقيت من اجله .

وحسبك اجراً على جهادك رضى النفس وراحة الضيق واطمئنانك الى انك تصمل لوجه الله وتضحي في سبيل الوطن .



الاستاذ عبد العزيز احمد

عبد العزيز احمد



في ازمة الشعور

لوجه الحكم النقي

الاستعصام بالاعتراف

لمن به اوس

(١)

تكاشرتي كرهاً ، كأنك تاصح ا .
لسانك لي أرتي ، رعينك علقم ،
أراك ، اذا لم أهدو امرأة هويته
• مدوك يخترى صوتي ، ان قيته (١) .
وكم وطن لولاي ، طحت سما هوي
• اذا ما ابتنى الجدد ، ابن عك ، لم أذن
وانك - ان قيل ابن عك غام -
قلات من غيظ عليه ، فلم يزل
• وقال النطاسيون : انك مشر
جمت ، وفحشاً ، غيبة ، وغيبة ،
قلت كفافاً - كان - خورك كله ،

(٢)

وذي رحم ، قلت انفسار خفته
يحاول دغمي لا يحاول غيره ،
اذا سئته وصل القوابة ، سامني
وان لدمه لانتصف ياب ، ويصني
ويسني اذا ابني لهدم صالحني ،
يرد لوني ، يهدم ذو خصاصة ،
ويبتدع عساً في الطرادت فكبني ،
أكون له - ان يشكب الذهر - ملزماً
• فان أعف منه ، اغضميناً على قذي
وان انتصر منه ، اكن مثل رائش
صبرت على ما كان بيني وبينه
وبادرت منه التأني ، والمز . قادر
• وما زلت في ليبي له ، وتطلفني
وخفض له مني الجنباح ، تأفناً
وقولي - اذا اخشى عليه مصيبة -
وصبري على اشياء . منه ، تربيني
• لاستل منه الضغن ، حتى استلته .
رأيت انشلالاً بيننا ، فرقتيه
وأبرأت غل الصدر منه توساً
فاطقات نار الحرب بيني وبينه ،

بجلي منه ، وهو ليس له حلم (٢)
وكالموت عندي ، ان يحل به الرجم
قطيعتها . تلك السفاعة والاشم
وبدع حكمكم جاثراً ، غيره الحكم
وليس الذي بيني كمن شأنه الهدم
واكره جهدي ، أن يحاطله العدم
وه ان له فيها سناء ولاقم
أدافع عنه الحضم ، ان عضه الحضم . . .
وليس له بالصنع . عن ذنبه مالم
سهم مدو ، يستهش بها العظم
وما يستوي حرب الاقارب والسلم
على سهمه ، مسادم في كفه السهم
عليه ، كما تحنو على الولد الام
لندنيه . هي - القاربة والرحم
ألا اسلم فذاك الخول والقد والم
وكظمي على غيظي ، وقد ينعم الكظم
وقد كان ذا حقد يضيق به الجرم
يرقني واحيائي ، وقد يرقع الثلم
بجلي ، كما يشفي بالادوية الكلام
فاصبح بعد الحرب ، وهو لنا سلم . . .

(١) الرواية جاءت بصيغ الحكم ولا معنى لها الا كما ائتمناه اي بصيغ المخاطب .
(٢) الترتيب المثلث ليس كما جاءت به الرواية فعدنا واخرنا تياً للترتيب الطبيعي لمراسل
شود من هذا النوع .

(١) كانت أزمة حادة من الشعور بالمدون ، تلك التي خالطت نفس صاحبنا الثقافي ، واستبدت بكل مذهب الحس عنده ، حتى لقد مست أعضابه فأيقظتها أشد ما تكون شدة ، واضف ما تكون ضراوة . ولقد وفق حقاً معينا راجعاً بفرغ جملها الانفعالية في جبل من التعبير البياني الناصم ، أتت بها الصورة الأدبية جميلة الملامح الى كونها دقيقة ، واثيقة الخطوط الى كونها صادقة . ففيها شاعر بلغت في تهيجها الحي درجة التقدير ، وفيها نبضات بلغت في انتفاضها المتدارك حد التفرار ، وفيها عذلة بلغت في ارتفاع حرارتها شار التخلي والتبرؤ . ونسرع مع الشاعر رويداً رويداً ، لننتفض لنا الصورة الشعرية جملة ، والآخرى النفسية شيئاً فشيئاً . زى - أول ما زله - يكشف بذات نفسه ابن عمه ، في مجابة دون تصنع ، ومداولة دون تحفظ . فيخطبه :

انك لتقلاني - في آكراه نفس وكبت مشاعر - بإسماة مريضة متنبطة ، كما كنت في الخفض الأمين . وكيف احبك اباه ؟ عيناك التي فيها ارتساءات نفسك ، تظهر لي على ما في قلبك الدوي غوي بأمراد . (واحسان الشاعر البياني يتجلى في الترويض الكائن التشبيه بكملة « كرها » ، واختيار التبرؤ بكملة « كاشري » ، دون ما في معناها) . فانا اعلم ، وان تكن على لسانك ندوة السمل وحلاوته ، ففي عيناك وهي « باب الى القلب » مرارة الحفظ . وبتم الشاعر للصورة : بانسباط رقعة شره ، وانكسب طبيعة جده ، والذكرة عليه في الموى ابدأ . (ودقة الشاعر البيانية تدس في مجازاته مقابل كلمة « منسوط » الى كلمة « ملتوي » التي تعزيف الى الانكسار ، هي التشوه) . ثم تبلغ حدة الشعور بالانفعال درجة التلكاية ، بالادلال المتروك . فعدو ابن عمه حين يلقاه ، انما يتعاهد لصورته هو ، فكيف يستقيم بعد ذلك في الطبع المهذب ان يكون له عدو ؟

وكان الشاعر احس بانها دعوى ، فاخذ بيد ابن عمه يلتمسه ويلمسنا من ورائه ، المواصل التي لولاه لطاحت به ، وهوى فيها على امرأته كما يهوى المحل الثقيل من قة الجبل النيق ، البائع الارتقاع . على انه يميل في آثاره ، من هذا الشعور الغائر فيهمه . وليس في انه لا يعين على ابتناؤه مجده فقط ، بل يمتنى لو حاق به الدوائر وحقت به القوائيل ، وعاد خواء بناؤه . ونقته السوء ليس سلباً الاثر عنده ، بل هو الجاني بعيد مدى الفعل . حتى لا يترك في حلقه شعبي غصة ، وفي كيانه حمياً ومرضاً ، وفي ذات نفسه غلظة . فصاعدهم كالتشلول في تلك الحنايا والإحشاء . انه حشية غيظه ، ولن تزال به تارة حتى ينشوي بها او يكتري . ومرضه النفسي العامي الذي اذكي عنده فائز اللحم مغيل للطبيب النطاسي الماهر انه مسلول منهري . بالسلال ، وما دأه الا

الحسد وما جواه الا الحقد ، وليس هو مرغوباً ابداً عما يحض عليه الحقد من خلال كربة بضيعة . (والطرافة البيانية عند الشاعر في هذا الصنيع من تقديم المعطوف « وقشاً » الذي يفيد في مثله الاستفراق والشول ، اي جمعت كل ما يتصور من لؤم النفس وقبح المعنى) . هذه قصة اعصاب فائز ثائرة ، شاء الشاعر ان يعزها ، قطعة من حس ، وخلعة من جسد . فأنت ولما يتدارك جذوتها ، حذب القلب الكبير بالتلطيف ، وجعل حس الاخلاق بالامانة . فكأنات قطعة انفعالية صخرة ، كما عاشت على الاعصاب واختلجت فيها . وجاء ممن بن اوس ، فمبر عنها كيف تقدر ، وقد مسها جمال حس الاخلاق بمجناه . . .

(٢) في المقطع الاول يحددنا : كيف كان حدياً على ابن عمه مدونه ، ورغم ما يحمل عليه المدون من ثورة نفس ورغبة ظلمة الى الانتصاف . وقد استأنى في المقطع الى نقل صورة منه جد كربة ، مستنظمة ، وهي رغم فظافتها جملة رائحة ، من حيث قوة الاخراج ودقة الابرار والتبرؤ . (واحسان الشاعر يبدو في اختيار التعبير « ذي رحم » دون ما مداها ، لتزيد في معنى الاستنكار والتأفف . وفي اضافة الاظفار الى الضن ، التي رسم بها طبيعة المصطفى الاسود في النفس انكر رسم) .

وفي المقطع الثاني يحس انه انفل وبشكل عنيف ، ولكنه استعرض انفعاله بين جالين : ان يضو ، فيكون كمن انخفض مينه على التذو والدرن . او ينتصر ، فيكون كمن يبطش وبطشاً ساحقاً ليس يبغي الا بدم ، وفطيع استهداف ذي رحم به مها جاً منه . ولقد جلي في نفسه ، واضطرب على خيمه طويلاً وملياً ، بيد انه لم يجد اخيراً ، يدور حرب الاقارب ، فاعتصم بالصبر وهزاله . وفي المقطع الثالث يحددنا : كيف لم يصبر فقط ، بل كيف ذهب يستصلحه بالاخلاق ايضاً ، ويستأنيه بالاحسان الى كل اشكاله . وفي المقطع الرابع يرينا كيف حاوله بالاخلاق ، وكيف استلانت طبيعته بعد جودها واستقامت بعد التروا . . على انه يزبدنا فيسجل نجاح الاخلاق في معركة الطيبين ، وليس على وجه الساب وهو اتقاء الشر ، بل على وجه الازجباب وبشكل رفيع ، وهو تحوير طبيعة السوء الى طبيعة خيرة ، تحس بالجمال ، الجمال النبيل (وبراعة التعبير البيانية عند الشاعر تظهر في كلمة « احياي » التي ترسم كل عمل الاخلاق في تصحيح الطابع الشاذة المتتربة ، وفي بمت الرفاة وانه ظن وتيمل انها باثرة خالصة) .

« ابو عباد »

مكتبة الاديب



الدفيرة في محاسن أهل الجزيرة

لابن بسام القسم الرابع ، المجلد الاول - ٣٣٨ صفحة -
منشورات كلية الاداب المصرية

المصادر التي تقطن بتاريخ الاندلس ، واطوار هذا التاريخ وغفائه ، هي من القلة بقدر ، يحمل لاي اثر عنها - وان عادياً - قيمة ومثالية فيا - فكيف بالذخيرة .

وزاد بها قيمة ما قد هي ، لما من نشر علمي ، وعناية بالتصحيح والمقابلة بقضيتها ، مثل هذا النشر . ومن وقف على الاصل او على حكاياته المنوعة ، في مقدمة الناشرين ، يدرك مبلغ الفنت والتصعب فيه ، ومبلغ الجهد المبذول عليه ، حتى استقامت له هذه الحلة الشقية التي تقطع بها اليوم .

وفي هذا الجهد وحده ، والموفق ايضاً ، لا يسجل « اثره » و « ثمره » مرموقة لمن عليه ، وكان حسناً وقروا « موروثاً » الى « ثلاثة » :

١ - تحقيق الاعلام ان للمسلم او للشخص ولاسيا الاجنية منها ، مثل « شاعبه بن غوسية » و « وادفونش بن يرمند » و « منندس بن غند شلب » وتبدو الضرورة ماسة الى هذا التحقيق ، حين نعلم ما عند كتاب العرب من ميل الى تكسير مثل هذه الاعلام ، والخروج بها عن قاعدة نطقها الى ما يقرب من موازين نطقهم .

٢ - الفهارس التحليلية المفصلة ، خصوصاً والكتاب على طريقة المقاربة التي يكثر فيها ما يسمى « بالانتقال والرجع » فالترجمة تشمل على ترجمات وعلى احداث ليس « موضوع الترجمة ابدأ » فمطابقتها « الزيادة في دقة التصحيح » فقد وقعت « أخذ بعضها نحو : مثل (فللحديث عنه زليل) ص ٤ ، ٤ - اثبتت اللام في « فللحديثان »

على انها جارة وهي لام الابتداء ، المؤكدة دون ريب ، ومثل : فارحم ابن ابني بنات لي بسبب لدعوعن على الحدود سبيل

ص ٤ ، ٨ ، اثبتت « يصب » على انها من اصاب ، ولما هي من صاب يصب اي جرى . وعليه يتسق المعنى ويستقيم ، وذلك لان الفعل في قوة النكرة والنكرة في سياق النفي تم عموماً مفعولاً

كما هي القاعدة الاصولية . وعليه فالمعنى : لم يجز ابدأ ولم يجز يوماً . سبيل دعم على خلودهم ، كناية عن انهم نشأوا في غبطة عيش لم تعرضهم الايام لم يجري دمه من مسلاً . والاقل ، قضى ما هو ثبت في النسخة المطبوعة ، لا يتفق المعنى الا على احتمال يبدو هو انه من شدة الخطب للملم بين اضحت دمه من مجرد ، فلم يدرك على خلودهم اثر من سبيل الدعم .

وبعض منها لتوي : مثل (ومستوفى مرحاً) ص ٤ ، ١٠ ، صصح يا الناشرين ما في الاصل وهو « ومستوفى وليس صواباً ، وذلك لان كلمة الاستيقاظ اي النهوض غير المطابق لا تتفق والمرح بجول ، على ان اكثر ما تضاف اليه يكون في الشر كما هو محفوظ في استعمالات العرب . والاقترب للصواب ، اما « مستوفى » اي مترافق واما « مستوفى » اي « متويع » ونحن اذا عرفنا ان عصر ابني العلا صاعد عهد في الكتابات استعمل « مادة » « ذن » و « شقة » و « ووجوه » تصريفها ، و « جح » في شيء من الاطشنان الصيغة الاولى .

وبعض اخر من عدم استواء الملاحظة ، فقد ورد في ص ٨ : « لكنت » كالم ابني مزيد اذ بعث اليه يحيى بن خالد غلاماً ، فقال لها يا « ه » وه في يحيى « ه » ، قالت وما « ه » قال « لا » قالت و « لا » قال « ه » « ملحق الميم على شفتيه الخ » ذكر الناشرين ان « م » لا ترجع في الاصل والسياق بقضيتها ، وهذا الصنيع غير مستو . وذلك لان الميم في القصة ليست ملفوظة ، بل مشار اليها اشارة بحركة من اطباق الشفتين عليها . وصحة العبارة (قال وطبق الميم على شفتيه) كما ورد في الاصل ، و « إضافة » قال في مثله هو المسموع . فقد ورد في الحديث الذي اخرجه البخاري في كتاب العلم حكاية عن موسى والخضر (فوجدوا جداراً يريد ان يتقض) قال بيده فاقاه الخ . الى اشباه لها ، يفرج حديثها ويتسم ، وفي مثل هذه الاشارة غنا ، وكفا .

وهذا الجهد بعد ذلك ، يتناول فيه ابن بسام بعضاً ممن هاجر الى الاندلس (وطراً عليها من شوا . الشام والراق ، بمن تبصيح في ذراها وتسريل نهارها) فاشتمل على تراجم ابني العلا ، صاعد البندادي وابني الفضل البندادي وسليمان الصقلي وابني القنوج الجرجاني والرسوسي وابني شرف القيرواني وابني الحسن الحصري الكفيف وابني فضل القيرواني . وما يمكن فهو نفيسة من التفاني وضعت بفضل الناشرين عند متناول اليد ويسرر لطالبين بعد ان كانت حديثاً وحيداً متشكناً عبد الله العلايلي

معبطات العربانية البربرية

لبرفسون - ترجمة كمال يوسف الحاج - ١٩٢٢ صفحة
مثنويات كوز الفكر العربي - بيروت

كنت أرى دوماً أن الإقدام على ترجمة برجسون لا يتجلى من مخاطرة ، وإن اخراج فكره وأسلوبه لن يتأتى إلا للحرب اقتادت له لفته العربية أولاً ، ومثلك زمام كلها ، وقرس يغنى القولي واساليب التبرير فيها ، وهوب الى جانب هذا حساً لفظياً ناسياً وتدوقاً للكلمات وجوسها ، واسلوباً حركياً سيالاً فيه رشاقة وحركة تسيران ما في اسلوب المؤلف من نعمة وشعر ، وتعطف وثق . كما كنت ارى ان القيام بأعباء مثل هذه الترجمة يغرض على المترجم ان يكون قد ألم بالتفكير الفلسفي ، وطالت عمره اللؤنسحقى ربط اول كتاب له بآخره وأخفى الافكار بأينها . فاسلوب برجسون بدع بين الاساليب ، فهو اسلوب تصويري غني تندس فيه اعنى الافكار في انعم التشبيهات والرموز ، بحيث يؤدي التفریط في اي جانب من جوانب ابداعه الى الذرول به الى الخفض . اذ الفكر والبديع يؤلفان لديه حلقة واحدة لا تنحل سداً ، شأن كل اسلوب حي .

فإذا بنا نغالب في هذه الترجمة بأسلوب عربي لا يكاد يبي ، فيه الكثير من العجمة ، وإذا بنا لا نستطيع ان نطالع فيه بقية من اسلوب برجسون وأي ذماء من روحه . بل اذا بنا لا نستطيع تبين معالم فكره فيها : فالترجمة تارة خاطئة تنقض فكرة المؤلف ، واخرى عاتقة تخلع على الاصل حلة من الاجسام يستحي معها فهمه ، وثالثة عاجزة متلكئة تنهك القاري . دون ان يصل الى فهم مقصدها ، لولا ما تسعه به ذكره للاصل الفرنسي . ومرد هذا الاخفاق الى عوامل عديدة . اهمها ضعف الاسلوب العربي وفقدان المرونة في تصريف فنونه ، ثم عدم الوصول الى فهم النص الفرنسي احياناً وارتكاب اخطاء تخرج بالاصل من عرواء ، ثم ضعف الروابط بين الجمل واسادة استعمال حروف الربط من عطف وتجب واستمدك وغير تلك ، واخيراً الجهل بالمصطلحات الفلسفية الدربة التي شاع استعمالها وكاد الاتفاق يتم بشأنها بين المؤلفين .

وأول ما يقبل القاري . على الفصل الاول يطالع في صفحتين فقط ، او ثقلان قليلاً ، ما في اسلوب المترجم من ضعف وعجمة . كأن يقرأ مثلاً الجملة التالية : « ولكن تصور علم النفس الطبيعي انفسهم لا يرون خاضعة في التكلم عن احساس ما انه يرو على

غيره شدة او عن جهد من الجهد انه اشد من سواه » ، هذا عدا عما في استعمال كلمة « يرو » اللازمة من خطأ . او كأن يقرأ الجملة التالية : « فيقال انا اشد حراً أو أقل ، أكثر غماً أو أخف » ، ولعله يبتدي بعد عتاء الى ان الترجمة يأتي بهذه الجملة ، التي ليست « العربية في شيء » ، ترجمة لعبارة الفرنسية « On dit qu'on a plus ou moins chaud, qu'on est plus ou moins triste » .

او كأن يقرأ قوله : « ومشكلة اشد وعورة بما نتخايله عادة » يريد ان يقول « بما يحظر على البنا » . ولا ادري اذا كنا نعلم لهذا القول « تخايل » على اصل في العربية ، كما لا ادري اذا كنا نجد وجباً لاستعماله بدل قليل « ينف » عوضاً عن « ينرف » ، او معنى لعبارة التالية : « واذنا نذكر الاحساس الاشد شرط ان يحشاز عبر الشدائد الادنى من الاحساس عينه » حيث يرفقنا استعمال « عبر » و « الادنى » وضف الجملة كلها . ومثل هذا نقوله في تعبيرة الآتي : « دون ان تزل في عثرة يرهان الدور » حيث يريد ان يبر من قول برجسون « Sans Commettre un véritable » « cercle vicieux » ، فانظر الى « تزل » وابحث عن معناها هنا وانظر الى « عثرة » وابحث من مكانها في الاصل الفرنسي .

وانظر بصر هذا الى قوله بدل قليل : « ولاننا نشعر بالكفاءة لتبيل كيفية تفكرنا عند من الاحداد حدداً آخر » واحكم على ترجمة « On se sent capable » بقوله « نشعر بالكفاءة » ، ثم احكم على ثقل التركيب حيث نجد اربعة مضافات متتالية ، وعلى كلمة « تفوق » وخلوها من اي معنى هنا وعلى تمديدها ، وهي المتعدية بجرف الجر ، لفعل منصوب هو « حدداً » وقيل مثل هذا في جمع « شدة » على « شدائد » . ثم انظر الى هذا المطلع المتلبس بالسجدة ، حيث يقول مبتدئاً : « يكون تهرباً من الصعوبة ليس غير ، تميزنا بين نوعين من الكلام . فتقديم هذه الجملة الخيرة « يكون تهرباً من الصعوبة » طريقة فرنسية في التبديل لاسيما العربية . وانظر الى قوله بعد هذا : « لاننا نقر هكذا بوجود رابطة . شترة بين هذين الشكلين من المقدار ما دمتا نسبهما مقدارين ، وتلتهما قابلي الزيادة والنقصان على السواء » ، حيث ترى ما في استعمال كلمة « تلن » هنا من عجمة ، وحيث يتبين لك ان موضع كلمة « على السواء » يغير المعنى المقصود ، واذا كان من حق هذه الكلمة ان تسوي بين المقدارين لا بين الزيادة والنقصان فالمقداران هما اللذان نقول متاهلها ، على حد سواء ، قابلان للزيادة والنقصان بينما يظهر من النص العربي ان التسمية هي بين الزيادة والنقصان . كذلك يبدو لك ضف اللفة

في قوله : « فإذا تمكن كم أن يزيد وينقص » ، فتمكن بتدري
يجزف الجراولاً ، وإن كان ثمة وجه ضئيف لحذفه قبل ان ، كما
ان استعمال هذه الكلمة في الحديث عن غير العاقل (كم) ، يستلزم
في ، بالجملة . ثم انظر بعد هذا الى الجملة الآتية : « ونحن لا
نستعمل الكلمة ذاتها فحسب » ، بل لننفل ايضاً بالتأثير ذاته ، سواء
أكان تفكيرنا يودر حول تشدد اكبر او امتداد اوسم . وحاول
ان تفهم المقصود من قوله « بل لننفل ايضاً بالتأثير ذاته » دون ان
تستحضر في ذهنك الاصل الفرنسي القائل « Nous éprouvons
une impression analogue dans les deux cas »
ولاحظ بعد هذا وجوب تأخير هذه الجملة ان صحت ، الى ما بعد ،
اذ المقصود القول بأننا سواء كنا نفكر في شدة كبرى او امتداد
اوسم نشعر شمرراً واحداً في الحالتين ، وهذا الى استهانه « او »
بدلاً من « ام » ، رغم انه قرن « سواء » بـ « حيزة الاستهانه » ، ثم هو
يورد بعد قليل التعبير التالي : « صورة انصرام حسالي » ترجمة لـ
« L'image d'une contraction présente » ، وواضح ان
لفظة « انصرام » لا تعني ابدأً التقلص او التقبض وان معناها الخفي
والاقتضاء . كما يورد بعد ذلك ايضاً الجملة التالية : « اذا جاز لنا
التعبير هكذا بهذه الطريقة » حيث يدور ضئيف الاسلوب حلياً .
ويورد ايضاً قوله : « يصعب علينا حلها » يريد « malaisé »
« déterminer » ولعلنا غلطينة مطبعية « صبحت » « حدها » فحسبنا
« حلها » ، هذا اذا صح استعمال « حدها » ايضاً اذ الحلد الشريف
وهو غير التعديد . وما يقوله ايضاً : « ان الحل الذي يتبادر حالا
الى الذهن عندما نحوض فمار هذا البحث » ، وفي هذا خروج على
النص الفرنسي القائل « La solution qui se présente
immédiatement à l'esprit une fois engagé dans
cette voie , consisterait etc. » ان الفكر ،
اذا سلك هذه السبيل ، كان اول حل يتبادر اليه . . . »
هذا بعض ما وجدته في الصفتين الاوليين فقط (١٥) (١٦)
من الترجمة ، أضف اليه اموراً اخرى تتصل بتدق الاسلوب ومجراه
العام ، بما يصعب التحدث عنه في مقال .

ولأنتم ان شئتم الى الفصل الثاني ولا تصنع جزأ منه ،
مقتصرأ على ابرز الاخطاء ، كما ذكرنا كثيراً من الاخطاء الاخرى ،
لنطبق المقام ، منتقياً على الاخص تلك التي تظهر فيسما مخالفة
للأصل الفرنسي :

وأول ما نجد في الصفحة الاولى منه (ص ٥٤) قول المترجم :

« غير انه وحده تشتمل على كثرة من الاجزاء التي يصعب علينا
النظر اليها ، ممكنة بعضها عن بعض » وفي هذا مخالفة صريحة للأصل ،
اذ الاصل يقول انها وحده تشتمل على كثرة من الاجزاء ، يمكن
(لا يصعب) النظر الى كل منها على انفراد « Qu'on peut
considérer isolément » ثم تقرأ بعد هذا ترجمته لـ
« Les deux notions de nombre et d'espace »
بـ « حلقة مبدأى العدد والمكان » وظاهر ان كلمة notion لا تقيد
كلمة « مبدأ » وان برجسون لا يتحدث هنا عن « مبدأين » ، وان لا
معنى للتحدث عن مبدأ للعدد مثلاً ، وان الواجب ترجمة هذه الكلمة
كما هو معروف بكلمة « فكرة » او « معنى » . هذا الى ان استعمال
كلمة « حلقة » هنا استعمال غير مصيب للهدف . ثم ترى العرب بعد
هذا يضع كلمة « ارقام » في « مقابل كلمة « Termes » ، ويترجم
« Les différences spécifiques de ces sensations »
بقوله « الفروق الخاصة في هذه الاحساسات » ويورد العبارة التالية
« تأييدها بعضها عن بعض بغير مركزها او مركز اشائها » يريد بـ
« تأييدها » غير ، ويريد بـ « بعضها عن بعض » بعضها من بعض ، و
يريد بـ « مركزها » وضما leur position ويريد بإشائها رمزها
leur symbole ، مما يجعل عبارته في غاية الغموض اثم يورد ايضاً
كلمة « وقد استعمل » ترجمة للأصل الفرنسي « On a été confondus »
يريد ان يقول « وقد اختلط » . كذلك يأتي في الصفحة الثانية من
الفصل بكلمة « متشابهة » ترجمة لكلمة « identiques » ، مع انها
لا تصح الا ترجمة لكلمة semblable ، كذلك يأتي بكلمة « قطاع »
جماً لكلمة « قطيع » ، والصواب قطعان ، ويذكر كلمة « يلحق »
ترجمة لكلمة « accompagner » يريد « يصاحب » ، وكلمة
« الذمني » ترجمة لـ abstrait يريد « المجرد » ، ثم يورد في الصفحة
الثالثة العبارة التالية الخاطئة : « فالذي يستعمل علينا في هذه القضية
عادتنا لاند في الزمان لا في المكان كما هو الظاهر » . وهي عند
ترجمة للجملة الفرنسية ، « Ce qui fait illusion sur ce point , c'est l'habitude contractée de compter dans le
temps , semble-l-il , plutôt que dans l'espace »
فلا مرس هنا ليس امر استهانه وانما هو امر تضليل وحجب للحقيقة
عنا ، كما ان وضع « كما هو في الظاهر » في نهاية الجملة وضع خاطي .
ثم يورد بعدها جملة اخرى اعرق منها في الخطأ اذ يقول : « لا ريب
بأنه يصعب علينا تمثيل هتيسات الزمان الخ . . » وهي ترجمة
« Sans doute , il est possible pour l'esprit français d'imaginer les moments du temps »
معكوسة للأصل الفرنسي القائل « Sans doute , il est possible
d'imaginer les moments du temps »

وقل مثل هذا في عبادته الآتية التي يوردها في الصفحة التالية :
 « يقصر العلم عن نقلنا الى المكان » *elle ne réussirait pas à nous l'y faire transporter*
 نحن وانما هو العدد . وقل مثل هذا ايضاً في قوله بعد قليل : « وهي
 النتيجة التي وصلنا اليها سابقاً عندما زعمنا بأن كل جمع لا يقوم الا
 على كثرة » *eu nous fondant sur ce que* يريد بـ «زعمنا»
 فاللؤلؤ لا يقول عن نفسه انه قد زعم ثم رجع عن زعمه وانما هو
 يؤكد ما قال .

هذا قليل من كثير اوردها على سبيل المثال لا على سبيل
 الاستقصاء . وقد أمهنا مضطرين للاحظات عديدة ، كما اقتصرنا
 على صفحات معدودات ، لضيق المقام . ومن اراد الوقوف على
 اسباب الترجمة في جلته فليقرأ مثلاً الفقرة الوسطى من الصفحة ١٠٣٥
 ليتبين له مبلغ انفعال الترجمة .

على ان هذا كله لا يمنع ان المترجم قد بذل جهداً كبيراً في
 الترجمة ، واراد ان يقدم خدمة لرواديه . ومما اضطلع
 بترجمة مثل هذا الكتاب بالامر السهل ، فلسنا ممن يسهل ما
 فيه من مشقة . لذا لا يسعنا الا ان نشكر المربح على
 جهته و *مترجمي* ان تكون هذه الترجمة فاتحة لترجمات آتية
 وأفضل .

ونحن ان اقدمنا على مثل هذا النقد ، فذلك الايماننا بما بأن
 الاخلاص لثقافتنا القومية يقتضي منا ذلك ، بسل قد نكون في
 هذا اكثر اخلاصاً للمترجم نفسه . ولعلنا في حاجة الى مثل هذا
 النقد الصريح في جميع مرافق حياتنا ، ولعل رسالتنا القومية
 الصريحة تطلب منا صدقاً لا يعرف اللين ، فيقوم بعضنا اذ واجه
 بعض ، ويصدق بعضنا بعضاً القول .

جهداته عبد الدائم

القاهرة

مركب النفس

تأليف ماكبرايد ترجمة تودي الحافظ - ٦٣ صفحة - بنداد

منشورات مجلة المعلم الجديد

لا شك في أن مجلة المعلم الجديد قامت بنشر هذه الترجمة قاصدة
 خدمة التربية قبل خدمة الطب النفسي وعلم النفس العام . أن تفصيل
 المؤلف القول في منشأ مركب النفس يبرز بوضوح خطا الأخطاء التي
 تتعرض اليها المجتمعات الحاضرة للصدقة في غوها وتربيتها ولا توجد
 رعاية طبيعته للأطفال وتباعد آثار الانبياء . والادوات السيئة المدونة

كذلك نقرأ في الصفحة الرابعة جملة خاطئة أخرى تخرج بالنص عن
 اصله وهي قوله : « من البداهي عندما تمثل هذه الوحدات التي تضاف
 العدد ألا نترك في انها وحديات لا تتجزأ » وهي لديه ترجمة لـ
 « Il est incontestable que lorsque nous nous
 figurons les unités Composantes du nombre,
 nous croyons penser à des indivisibles »
 « ألا نشك بانها وحديات لا تتجزأ » وبين قول برجسون « تحليل
 الينا ان تفكيرنا منصب على وحديات لا تتجزأ » . ثم يقول بعد
 هذا مباشرة : « وهو ظن يلعب دوره الخاطيء في تكوين اعتقادنا
 بكثافتنا انفسنا على قسائل العدد الخ . » يريد بكثافتنا انفسنا ان يترجم
 qu'on pourrait كما يترجم بعد قليل كلمة Objectiver بـ
 « جسد » ، ويترجم *Il suffit pour s'en convaincre*
 بقوله « وكفى بذلك » ، ويورد هذه العبارة الضميمة الخاطئة « من
 الكميات التي تنكسر تصنيراً وتكثيراً قدر ما يحيط بعيننا » يريد
 « des quantités fractionnaires, aussi petites et
 aussi nombreuses qu'on voudraient l'imaginer »
 كما يترجم كلمة multiple بـ « مكرر » وقوله « Aucun
 effort d'analyse n'en fera sortir autre chose que
 l'unité pure ou simple » « من البت ان يتأصل
 منها غير وحدة محضة بسيطة كيفما تخيلات عابها في تحريك الياها » ،
 فواضح ما في هذه الترجمة من تشويه ، وواضح ما في استئصال كلمة
 « استئصال » هنا من مخالفة مطلقة للنص . وبمثل هذا قوله في هذه
 العبارة الخاطئة التي يوردها في الصفحة التالية : « من واجبنا الا
 نخدع انفسنا بالتفكك الكائن في العدد ، مع ذلك لا ننكر البتة
 ان تكوين عدد من الاعداد يشتمل على التفكك » يريد ان يترجم
 « Il ne faudrait pas se faire illusion sur la discontinuité du nombre. On ne saurait contester etc. »
 فالمقصود هنا « ينبغي الا يتطرق اليها شك في ان العدد غير متصل ،
 وليس من ينشك الخ . » وظاهر ان الترجمة التي وردت في الكتاب
 تقابل النص رأساً على عقب ، لا سيما بوضها للجملة الثانية كالستدراك
 من الجملة الاولى في قوله « مع ذلك » بينما هي مفسرة لها . كذلك
 نجد مثل هذا الخطأ في العبارة التالية : « ان الوحدة لا تتحول ولا
 تنكسر عندما نفكر بها ، ولا يكون العدد مفكك الاواصل
 حين نشيده » يريد ان يترجم *L'unité est irréductible pendant qu'on la pense, et le nombre est discontinu pendant qu'on le construit*
 « لا يكون العدد مفكك الاواصل » نقيض قول برجسون .

اليهم وهو يحلو لك في قصة «القبضي» صورة الفنى القبضي المتقدم بقوته وشأريه .

ولكن ان نسي هذه الاقاصيص صوراً أو مشاهد، ينتزع من الواقع ولكنها ترغو بالحياة وتضوع بعطر الشرق ورنده ويحييه دمشق

بلديم حقي

الانتم الاقصادى بعد الحرب

للانثاد رسول السكر - ٩٠٠ صفحة - مطبعة النجاح بنغازي .

درس دقيق افرد فيه المؤلف جهداً كبيراً كبيراً ، من ورائه بصر محض . وقد ذهب الانثاد المؤلف يدبر بحثه كله ، على اساس ان البناء الاقتصادي هو القلب الاولي لكل حركات الرضى البشرية التشابكة ، ان سياسية او اجتماعية او انقلابية . فدرس الحرب ومراكز الانتاج ثم انتهى الى ان معركة الانتاج هي ثلثت ودرس تركة الاقتصاد الحديث مثل تقيد الى بحث الانتاج الوطني وتوسيعه على متناه . وهكذا راح المؤلف ينتقل في جذبات البحث ، الذي وفر له كل ما ينشئ من احصاء ، ودقة ، لاهلته . وانتهى من ورائه اخيراً بنتائج خيرة ، في موضوع لم تزل الحاجة الى الاكتشاف حوله ماسة .

الانثاد الاجتماعى الكبيرى

للانثاد رسول السكر - ٨٧ - صفحة - مطبعة الرشيد بنغازي

عرض سريع تغلب عليه نزعة للمادة التاريخية ، ولكنه رغم كونه سريعاً جاء مستوفياً . والمؤلف عني في المقدمة ببيان «السمعة ادة الاجتماعية التي يقتضى لوجودها توفر شروط ثلاثة (١) الوعي الثقافى وليد الثقافة العامة . (٢) الوعي بالمسؤولية الفردية تجاه المجتمع . (٣) الوعي الاجتماعى بالمسؤولية تجاه الفرد . ومن ثم انشغل بدرس الفرد والمسؤولية الاجتماعية فاطالة الاجتماعية وتطورها والتجتميم كيف يكون في قضايه الكبرى فالتضامن الاجتماعى . والمؤلف في كل مذاهب بحثه ، راعى الصدق واصابة الترض من اقرب وجوهه .

عبره النفس في مصر

للانثاد سلامه موسى - ٣٢ - صفحة - دار الفجر مصر

صفحات او صرخات يطلقها الانثاد سلامه موسى ، ومضاهياً لدى الضرر الذي تتزله ادارة المطبوعات المصرية بالشعب المصري في منم تطوره ، لانها لا تتقيح المصري اخر اخراج مجلة او جريدة الا بعد ان يزوي غرامة مالية كبيرة .

وخلاصة هذه الصفحات انه يجب الغاء ادارة المطبوعات لتكون مصر امة مصرية .

الاجتماعية «ما لاجدال فيه أن العجز والانتكالية هما «فتح الطفولة» وتأني بعد ذلك الطرق العنيفة في التربية التي تكثر من الضغط والتسوية فتحدث ما سماه ماكدوجل : Neurotic Troubles وما ترجمه الانثاد نوردي الحافظ الاضطرابات العصبانية وحاول المؤلف أن يجد اسماً يحصر به الصفات الثانوية والرئيسية لمركب النفس وهنا بدا شيء من التفكير في التأليف ولعل ذلك راجع الى رغبة مسرقة في التبسيط واقتصر المؤلف على ذكر الصفات الظاهرة في السلوك التي يمكن لكل شخص أن يلاحظها ولم يحاول ربط الاعراض النفسية والاعراض الفسلجية «وقد قسام للترجم بواجب حق قيام و كان أمتنا في التعبير عن آراء المؤلف رغم ضعف المصطلحات العربية التي حاول بعضها من جديد .

وكسب علم النفس العربي مقدمة العلامة الدكتور محمد فاضل الجمالي اذ استطاع في أسطر قليلة لتلخيص مختلف التيارات العلمية في علم النفس - ولكن المصطلحات خاصة أغلبها يرجع الى الانثاد الدكتور نفسه - ولعله جاء الوقت الذي يجب فيه على العرب ان يحدوا فيه لغتهم وخصوصاً لغة علم النفس

ابو يمين الشافعي

القاهرة

افاصين جبريدة منه الشرق

للانثاد ديون لوار - ٩٠ - صفحة - باريس

من أب فرنسي وأُم مسيحية عربية . تحدث الانثاد ديون لوار . فلان لهج لسانه بلغة ابيه وجري قلبه فيها حتى اصبح فيها كاتباً نابه الاسم فما كان عاقلاً للدم العربي الحار الذي يجري في امرائه .

وها عرذا ، يصدر كتابه الجديد : اقاصيص جديدة من الشرق . نشرته دار كورديا في باريس . وانك لتجد فيه الحيات السامي يواكب الحيات اللاتيني . وتلحظ فيه البساطة تعانق الفن وتثمر أنك امام كاتب عاش في هذا الشرق العابق بالسحر والاعلم . وبلا آلامه ، وأفراده ، وتذوق احلامه واساطيره . انه يختلف عن كثير من الكتاب الفرنسيين الذين يهرون في الشرق ليستمدوا منه مواضيع هزيلة لتقصصهم ، يقتصونها من بائع التحف والنقائس . فهو يطرب بمسك في قصة «بيت الحقول» لصوت ندي يتسامى من المأذنة ، وهو يتر كلمة الله تنجاب في حنايا «الجامع» الاخر وهو يتشرف ، مثلك ، في قصته «دلال» لاستبجلا . الجمال الشامي . حين تحظر فتاة في عنرة صباها وقد ارخت برقعها الشيف على وجهها وهو يجلس في قصة «الدرويش» : الى عامة الناس يسامرهم ويصني

جولة للفدح في شهر



طرح الأستاذ احمد شومان مراسل
الاديب في مصر على الاساتذة عباس
عمود العقاد وابراهيم عبد القادر
المازني وتوفيق الحكيم هذا السؤال :

هل يوجد فروق بين آداب البلاد العربية ؟ ويرى القاري في
جولتنا هذا الشهر رأي الاساتذتين العقاد والمازني ، لما رأي الاساتذ
الحكيم فقد ضاع ولم يحمل الينا الجريد الا رسنه الكريم ...
وبلاحظ القراء اشارة اليه في حديث الاساتذ المازني .

رأي الاساتذ عباس عمود العقاد

بالسنتيم ، لا يستطيع ان يقول (الاجنبي) بلسانه ، ولو جرت
سنة الادب على هذه الدعوة لما كان في لبنان ادب مستقل منذ
وجدت النهضة الحديثة ، لان
ادباء لبنان لم يعيشوا بايديهم في
بقاع لبنان وحده ، بل كانوا
يقروا في مصر والعراق وحيث
ما وجد القارؤون باللغة العربية .

وتحزن زوى الآن ان الادباء الاميركيين على سعة بلادهم
وادلائها بعشرات الملايين من قرائهم لا يكتفون بحدود البلاد
الاميركية ولا يسرهم ان تنقطع الصلة النورية
بينهم وبين قراء الانكليزية في انحاء العالم بل
يرى ان الامم تتصل من طريق الترجمة على
اختلاف لغاتها ومصالحها وعناصرها ، فراعى
الحق ان يأتي اناس في قطر كليسان فينتشر
الدعوة بمنزلة عن آداب الامم التي تقرأ العربية
نفسا ، وعلى كل حال اعتقد ان هذه الدعوة
قد اصبحت من الاهتمام فوق ما تستحقه
ويستحقه اصحابها !!

والذين يلومون ادياء مصر ويعتقدون
بانهم لا يعيرون الكتب اللبنانية اهتماماً هؤلاء
قوم بخطئون ولا صحة لدعواهم هذه . فاما
كتاب وصل الى مصر الا واعطته حقته من

يوجد - ولا شك - اختلاف بين آداب الامم على حسب
مواطنها ودرجات التعليم فيها ، كما يوجد اختلاف في آداب الامم

الواحدة بين عصر وعصر او اقليم
واقليم ، ولكن هذا الاختلاف
شيء ، والقول بفصل هذه الامم
بعضها من بعض في الشؤون
الادبية شيء آخر ، فادب مصر
غير ادب الحجاز ، وهما غير ادب العراق او السودان او افريقيا
الشالية ولكنه كله ادب واحد يمكن ان يعرف باسم الادب
العربي في البلاد العربية المختلفة .

اما اولئك الداعون الى الانفصال من
سياسة المستعمر فهؤلاء ليسوا ادياء ولا تعرف
لهم ادبا يسر بهذا من البلاد العربية وفي مقدمتها
لبنان ان ينسب اليه ، ودعوتهم هذه شهادة عليهم
بانهم قوم خادون لا يستطيعون الظهور في افق
الادب الا اذا حصره وضيّقوا نطاقه ولو
امهات هؤلاء قليلاً لسمعت منهم من يقول :
« ان ادب لبنان الشالي غير ادب لبنان
الجنوبي وان قصائد بكفيا وضوء الشوير
غير قصائد زحله وهم على ضغفهم وخولهم
لا يعبرون عن شعور صادق حتي شعورهم
الشخصي لانهم ضنائم الاجنبي يقولون



الاستاذ عباس عمود العقاد

النساية ، وقد مضى زمن كانت مصر هي الميدان الوحيد لأقلام الأدباء والشعراء من بلاد العربية جمعاً واشتهر أدباء سوديون ولبنانيون بما كتبوه وطبعوه ووزعوه في الديار المصرية ، ولا نفلن ان شهرة جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي قائمة على قراء المهجر وحده ولا على قراء البقاع اللبنانية وحدها ، وقد اشرت في جواب سؤال كذا السؤال الى رعاية مصر لأدباء العرب حيث كانوا فقلت ان الحازنة الاولى في صكتاب سسلطة اقرا قد منحت لأدبيب فلسطيني بناء على اختيار القراء



الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

المصريين ، فليست المسألة ان مصر لا تلتفت الى ادباء الامم الاخرى ، بل ان قريقاً من الادباء لا يطبقون ان يذكر الادباء المصريين في غير بلادهم ، وهم لم يبنوا هذه الشهرة بدسيسة اجنبية ولا بجملة من الحيل المصطنعة ولكنهم بنفوس لانهم اهل لها . . وسيظلون اهل لها من غير حاجة الى استكشاف اولئك الادباء !!

رأى الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

انا موافق على رأي صديقي الاستاذ توفيق الحكيم فسا ترك شيئاً يقوله غيره ، وخلاصة ما ذهب اليه في جواب السؤال انه لا يصح ان يقال ادب لبناني وادب عراقي وادب مصري سوري او حجازي ، لاق هذا التفريق ليس له اساس صحيح وان الذي وجه الناس الى هذا التفريق هو الاستعلاء وانزيد عليه ، من قبيل التمثيل ان في الادب العربي التقديم كتابا

وشعراء من اقطار عربية مختلفة ، ولكننا لا نقول ان اياهم او المصري شامي او ان ايا نواس او بشارا او الجاحظ عراقي او بصري ، وانما نقول انهم جميعاً من أدباء العرب .

ومثل هذا يقال عن الادب الانكليزي ، فنكارليل ، وبيرون ، وسكوت من ابناء سكوتلند - ايقوسية ، ولكن كله ادب انكليزي ، ويونس الشاعر الحديث ارلندي ولكنه يدخل في الادب الانكليزي العام .

كانت الدنيا قبل عهد هاتر منفصلة عن ألمانيا ، كانت دولة مغلبية قائمة بذاتها ولكننا ما من أحد في الدنيا يصف ادب ادبها او فن فناتها بانه ادب شعوي او فن شعوي وهكذا الخ واضيف الى هذا ان الدنيا صفت جذابعد اختراع الطائرة واللاسلكي وهذا يقضي الى تقريب ما بين السات المختلفة ، وتكسب الادب والفنون - كما اكسبت العلوم - صفة عالمية ، مها بقى من السات المحلية .

وقد كنا في مصر الى عبدقريب ، والادب اللبناني هو السائد ولا يزال اثره باقيا في صحافتنا ، فان الصحف اللبنانية الاصل من أقوى الصحف المصرية واقدامها وأوسعها اقدا

ولعل هناك دورة نهوض محلي ، فليس ثم مانع من ان يبرز الادب اللبناني ويشيع في الاقطار العربية وتكون له الغلبة والمروية الاولى ، ثم يتبعه بعد زمن ادب مصري ، فيظهر ويستولي على الميدان ، ثم يلي ذلك عهد نهضة للادب السوري ولكنه كله - على كل حال - ادب عربي ومن الخطأ جدا ان نفرق بينه ، وان نطلق عليه هذه الاوصاف المحلية ، فنقول هذا لبناني وذلك عراقي ، والثالث سوري او مصري - لانه كله عربي كما اسلفت . ولم يكن معروفا في مصر ، فلماذا يعزينا به الآن ؟

فلسطين انزلت الشرق

كتاب جديد للاستاذ محمد جميل يهيم

رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية

فيه عرض لفضية فلسطين من وعد بلفور ١٩١٧ الى بيان بفرن ١٩٤٥ ودفع المهاجرين وبذلهم في سبل فلسطين ، وتطور موقف لبنان تجاهها . والكتاب متصل بالبحث حتى الآن ومزدان بالرسوم .

أنباء العالم



في أسبوعهم

إصطدام سيارته بسيارة لوري بريطانية .

٢٠ - غادر عمان سمو الأمير عبدالله برفقه
إعضاء الوفد الأردني في طريقه إلى لندن لبحث
قضية إعلان استقلال إمارة شرق الأردن .

٢١ - كان اليوم يوم إضراب عام في البلاد
المصرية وقامت مظاهرات سلمية ثم تحولت إلى
ضرب وعنف ، وسقط فيها ١٧ قتيلاً وجرحى
كثيرون .

٢٢ - احتجت بريطانيا لدى الحكومة
المصرية على عدم اتخاذ التدابير اللازمة للحد من
دخول وفود الإضرابات ، التي وقعت أخيراً .
وقد أجابت الحكومة المصرية أن هذه
الاضطرابات أثارها سوء تصرف بعض رجال
الجيش الثابتين للجيش البريطاني .

التعليق توفيق السويدي الوزاراة العراقية
بعد أن دامت الأزمة أربعة ومشرين يوماً .

وشباط ١٩٤٦ - عين القائد مارشال
مونتغمري رئيساً لجبهة إركان حرب الإمبراطورية
البريطانية .

٢ - طالب الوفد الروسي في مجلس الأمن
سحب القوات البريطانية من اليونان مريعاً
فرد المستريين وزير خارجية بريطانيا قائلاً
أن الصعوبات القائمة في اليونان لا تدعو اليقنة
إلى الجلاء بل إلى زيادة القوات البريطانية فيها .
لشئت اليوم مذكرة الحكومة المصرية إلى
بريطانيا ورد بريطانيا عليها بشأن تعديل معاهدة
١٩٣٦ والجلاء ووحدة وادي النيل ، وكان
الجواب البريطاني أن المفاوضات ستبدأ قريباً
بين الجانبين في كل هذه الأمور .

٣ - زار عمان سمو الأمير عبدالاله السوي
على عرش العراق لبحث أمور عامة تتعلق
بالعراق وشرقي الأردن .

٤ - انتهت قضية اليونان في مجلس الأمن بمل
أن تحتل روسيا منسكها بأن يقر المجلس أن عام
الجيش البريطانية يحدد السلام في اليونان .

١١ - جرى في البيت الأبيض بواشنطن
حديث بين المستر تشرشل والرئيس ترومان
حول مختلف الشؤون الدولية .

١٣ - وقعت اضطرابات في كاكوتا الهند
ذهب فيها عشرات القتلى وعدد كبير من الجرحى .

١٥ - عقد مجلس الأمن جلسته المخصصة
لبحث قضية سوريا ولبنان ، فتكلم الأستاذ جدي
فرغية رئيس وفد لبنان عن طلب البلدين جلاء
القوات الأجنبية عنها ، وكذلك تكلم الأستاذ
فارس الحوري رئيس الوفد السوري في الموضوع
نفسه . وبعد أن ورد مندوب فرنسا وعلق بعض
مندوبي الدول على هذا الموضوع أجل البحث
إلى جلسة تالية . استأثرت الوزارة المصرية التي
يرأسها دولة محمود فهمي التفرغ بشا .

١٦ - ألف دولة إسرائيل صديقاً بالثأر للزاداة
المصرية الجديدة من الدستوريين والمعتقلين .

١٧ - سوى مجلس الأمن مشكلة سوريا
ولبنان بأن أجاز اقتراح الولايات المتحدة لتضمن
أحزاب المجلس من اعتقاده بسحب الجنود



نشر رسم السيد شفيق عباس المراقب في مصلحة تفراف (راديو الشرق) والسذي ربح
أنصف الجائزة الكبرى في السحب الأخير لليانصيب الوطني اللبناني .

وقد كان النصف الآخر للجائزة من نصيب السيد توفيق حبيدان وهو صاحب دكان صغير
في حلة السور بيع فيها دخاناً وطوايح وغرغرات متنوعة .

ومن طرف ما حدث أن الشخصين المذكورين عندما تقدموا من صندوق اليانصيب الوطني
لبعض جائزتها التتيا في وقت واحد على مدخل الصندوق فوقف الاثنان مشدوعين ونظر الواحد
إلى الآخر نظرة غرغرة بالنسة والمرارة ، لأن كلاهما كان يتش في نفسه لو اغرد بشرأ
الورقة الرائجة كاملة ليصبح كامل الجائزة الأولى لانسبة .

وما اعتضت برهة على هذا الموقف الطريف حتى تجاذب الاثنان الإيدي وتصافحا وتبادلا
التحية ... والتباني ... والتبنيات ... وتعاهدا في ... حفظ الشراكة في اليانصيب .

ومن يدري ؟ ... فقد يكون حظهما مشتركين أقوى منه منفردين !!!